

الأعمال الشعرية

الأعمال الشعرية :

- ضيوف يثيرون الغبار، الطبعة الأولى، 1994، دار الفكرة.
- كما لو أنك ميت، الطبعة الأولى، 1998، وزارة الثقافة.
- وحوش العاطفة، الطبعة الأولى، 2000، دار كنعان.
- الأب الضال، الطبعة الأولى، 2003، دار ألف.
- شخوص الممالك الزائلة، الطبعة الأولى، 2006

لقمان ديركي
الأعمال الشعرية

لقمان ديركي

الأعمال الشعرية

الطبعة الأولى /2006/

1000

رسوم الغلاف: شاهي وشيرين ديركي

تصميم الغلاف والإخراج: باسم صباغ

فوتوغراف: بسام بدر

جميع الحقوق محفوظة

مقدمة

القصيدة المخالفة

بقلم: سعدي يوسف

القصيدَةُ الْمُخَالَفَةُ

سعدى يوسف

طالَ ما وجد المرءُ نفسَه في حيرةٍ من أمره، وهو يحاولُ مدخلاً
مجدياً إلى قصائد لقمان ديريكي: أقصدُ أن المداخل قائمةٌ، متاحةٌ،
لكنَّ الجدوى متفاوتةٌ، ومن هنا تأتي الحيرةُ في اتخاذ الخطوة الأولى،
الخطوة ذات العلاقة

بالشخص قبل النصِّ. ليس بمقدورك (بمقدوري) قراءة نصِّ
لقمان ديريكي الشعري بمعزلٍ عن تمثُّل شخصه .
والشخص، هنا، ذو مرجعيةٍ وراهنيةٍ معيّنتين، والاتتان
منفصلتان عن عاديةِ الواقع انفصلاً عجيبياً .

ليس لدى لقمان مرجعية شعرية مقررة مقدّسة . لكنَّ لديه
اعتبارات : رياض صالح الحسين أولاً وربما أخيراً . لماذا يمضي بعيداً إن
كان رياض مضى أبعدَ مما يتحمَّل ويُحمَل ؟ الدرسُ قائمٌ، مستمرٌّ .
المرجعية شخصيةٌ تماماً .

أمَّا الراهنية التي أنقذت لقمان من الذوبان في تفاهة النص
السائد، فهي متّصلةٌ بأنه خارج الاعتبارات والمنافع والوظائف . ليس

موظفاً في صحيفة، ولا ناشطاً في تنظيم سياسي، بل ليس ذا شغلٍ ثابتٍ
على أي حالٍ . هكذا

صار خارج التزوير والكذب، والضحك (شعرياً) على القاريء
البريء عادةً . ثم أنه ليس مغرماً بالقراءة، أي
أنه ليس دودة كتبٍ . مادته الخام مباشرة من الحياة (ليست
الحياة اليومية المألوفة)، واستعداده للاستقبال مستفراً على الدوام،
كأنه آدم في هبوطه الأول على أرضنا ذات الرتبة، الرتبة التي لن
يعرفها .

لقمان، الكائن اليومي، في ديالوج دائمٍ دائمٍ : حديثٍ لا يتوقف
إلا مع الخمود الطبيعي لوظيفة الجسد . هذا الديالوج يتخذ هيئة السرد
في بهائه، ويمتشق أيضاً أسلحة السرد في مضائه :

المباشرة .

التقاط اللحظة .

الموقف النقدي .

ليس بإمكانك الفصل بين ديالوج الكائن اليومي، والنصّ
الشعريّ . إنهما متداخلانٍ تداخلاً لا يتحمل العبث أو محاولة التمايز .

يا لأدوارٍ أمنحها أنا

يا لشخصٍ أرتبهم أنا

يا للمشهد يبدأ بإشارةٍ مني

يا للمهزلة !

قلتُ إن الشاعر مسلّحٌ بالسرد، عارفٌ بما هو فاعلٌ، وملتقطُ

لحظةٍ وزاويةٍ :

في يوم المسرح العالمي
أهديتكم ثماني قرنفلات
وكنت تعتذرين مني كلما مدحك شخصاً .
في يوم المسرح العالمي
أسدلت الستارة

ولم تحجب من الممثلين سواي .

لكأن هذا هو التماهي الحق بين المهرج والفيلسوف، بين
اللاعب وما وراء اللعبة .

أليس الفن، بإطلاق، هو هذا ؟

آن استعملتُ تعبير " المباشرة " ، كان استعمالي احتراماً
للمصطلح وتقديراً ، وتأكيداً في الوقت ذاته على أن تجنّب المباشرة
مرضٌ أصيبتُ به القصيدة لدينا ، مرضٌ ظلّ يُعملُ في الشعر تشذيباً
وتهذيباً حتى فقد جناحيه :

قوادمٌ وخوافٍ ، وحتى لم يُعدّ ذا مغزى أو جدوى ... بُعداً فابتعد
عنه الناسُ وتناسوه ، لأنه ابتعد عن الناس وتناساهم ، موعلاً في
اللامباشرة ونفخ الهواء في البالون المثقوب .

لكنّ المسافة التي يضعها الفنان (الشاعر هنا) بين الفن
والحياة تظل قائمةً وضروريةً ، فهذه المسافة هي ساحة الوصل والفصل
في آن :

سأغلق النوافذ جيداً
ولن أفتح الأبواب
سأرتق شقوق الجدران

لأنني أخاف

أن يدخل الهواء الذي تتنفسون منه إليّ!

هي، إذًا، القطيعة الموصولة، أو الصلة المقطوعة، الجدل الدائم الذي يمنح الحياة حركيةً واختلافًا :

وفي نهاية الليل

مع صوت غريان الصباح

أنام دون أن أفكر بك

لأنني لم أجد الوقت الكافي !

لقد مضى زمن العاشق المولّه، المُدَنَّف (ما معنى المدنّف ؟) نحن أمام مادةٍ مسيطرٍ عليها . في هذه الأبيات نتابع أسراراً من صنعة لقمان ديركي، نتابع المباشرة ، والتقاط اللحظة ، والموقف النقديّ، ونتابع كذلك مهارة الاختزال والتكثيف .

القصيدة لدى لقمان معنيةٌ بقضايا كبرى، حقاً، لكن الشاعر ليس أسير هذه القضايا . أريد القول إنه يمنح القضايا الكبرى، في السياسة والوضع البشري، ملموسيةً الفنِّ ولمسّه، فتعود شاخصاً مشخّصاً، نائيةً بنفسها عن تجريديّتها القاتلة، وهكذا سنقرأ في ديوانه الأخير "شخوص الممالك الزائلة " شواظاً من ملحمة الأكراد :

يا إله الميديين حدّق جيداً

يا إله الفرسِ اسمعني . يا إله المنصّة تعدّني قليلاً . تململ

واقرض أظافرك فلم تبدأ الملهاء بعد، ولم يأت

سيدها . قاضي محمد... أحفادك ناموا على الهزيمة، فلاكُن

ومسرّحي حذاءً لك تلبسنا وتتمشى في الجمهورية القتيلة بعد عام،

فلأكن ومسرحي شخصاً لك تحرُّكنا حتى المشانق ... آآخ . أي حبلٍ
كان ذلك الحبل ؟ أي شعبي كان ذلك المسورُ حدودك ؟ قاضي محمد
... ماذا فعلتَ حين تقدّم الجنودُ وتراجع البرزانيون إلى جهتهم ؟



مياة كثيرةٌ مرت تحت الجسور، وهي تمرُّ الآن أيضاً .
لكن من العسير على قصيدة النثر أن تجد تجلياً لها أبهى ممّا
أنجزه لقمان ديركي .
إن قصيدته تستحقّ العميقَ من التأملِ والكثيرَ من الاحترام .

لندن 27 . 1 . 2006

ضيوف يتبرون الغبار

إلى أمية

الطبعة الأولى - دار الفكرة 1994

من الريح، من الأرصفة

أصابعك للريح
عندما لا تجد قطاراً تستقبل فيه امرأة ما
أصابعك للقطار كله
عندما لا تعثر على العربية التي تحملُ امرأة ما
أصابعك لكل النوافذ
عندما لا تطلُّ من إحداها امرأة ما
أصابعك للسكة
كي يمر عليها قطار كامل
من العربات والمسافرين والأمتعة
وعندما تتكسرُ تماماً
ستعرفُ أن العربية التي تحملُ المرأةَ
قد مرّت الآن.

بعد كل هذا التردد
والوقوف الطويل أمام المرأة
بعد التمارين المجهدة
لعبور شارع بيتكم دون ارتباك
بعد المرور أمامك كالبرق
ناسياً - عمداً - عنواني عند قدميك
ها أنا أطرق بابك
ولكن كم ستكون خييتي كبيرة
إذا لم تكوني موجودة
فأنا لا أستطيع أن أكرر هذه الشجاعة
مرة أخرى

تهزني بهدوء
لتقول لي "صباح الخير" وتمضي
تاركة جسدي للنوم والدفء

أهزها بهدوء
لأقول لها "مساء الخير"
وأنصرف إلى جوار المدفأة

منذ زمن بعيد ذهبتُ
تاركة لي عادتتي
بالأولى أهز الوسادة
وأقول للسريير الفارغ "مساء الخير"
وبالثانية أسهر حتى الصباح
دون أن ينبهني أحد بـ "صباح الخير"

إنها تحبكَ وما انتبهتَ

اسأل الوردة في يدها

القصيدة في الحقيبة

إنها تحبكَ وما انتبهتَ

اسأل الذبول في يدها

الحروف المتدحرجة من القصيدة

إنها لم تعد تحبكَ

وما انتبهتَ

عادتهُ الانتظار
وعادتها أن لا تجيء
عادته كرسي وعيون على الباب
وعادتها أن لا تدق
مرة جاءت، دقت الباب
لكنه بقي على الكرسي
وبقيت عيونه على الباب

أيتها الشرودُ المتوجُّ بانتباه
أيتها الوردة
توهت حدائقها ونبتت في البراري
وعبثاً أتشبثُ بك
يا أجنحة سقطت وبقيت عاصفيراها في الهواء
ماذا سوى ريش وزقزقة
من للريح بعد شعرك الطويل
من للأرصفة بعد قدميك الصغيرتين

فرح بك
كتمثالٍ عثرَ عليه للتو
في الشارع أخاف عليك
وعلى الرصيف أحبك
وعندما تندلع الحروب
أقف مدافعاً عن شارع بيتكم

على كل الأرصفة أسمع طرقات حذائك
وعلى كل العيون ألمح نظارتك
أمسحُ عن زجاجها صور كل الرجال
وعندما أعود إلى غرفتي
لا يفزعني سوى غيابك
في الليل الموحش
وحيداً
حزيناً
كتمثالٍ عثرَ عليه للتو

كما لو أنني ماء
أعيد الحصى للشواطئ
وألعب الريح
تمر السفن محملة بالقراصنة فأهدأ
وعندما يمر زورقك الصغير أتبخر
كما لو أنني ماء

أموت فرحاً عندما ألامس قدميك في مدي
وأموت حزناً حين أنحسر عنك في جزري
أنتظر
وعندما لا تأتي
أسدل أمواجي علي وأجف
كما لو أنني ماء

لم يكتشفك السنبل في ججورك
ولا نسور هرمت على ساعدي
لم ينته عمري في معصمك
ولا مائي في ارتجاج جسديك

لم أكن قامة كي لا أنحني لسواك
ولم تكوني سمكة فتغرق عيني كلما رأتك
كأنني رجل تتسج العناكب حوله قلبه
بأثد وقمصاني تزهو بجسدك
مائل عن حالي
وأنت تمدين رأسك من قمصاني الملونة
كيف أبدأ
وهاويتي صغيرة لسقوطك
ودمي مهما سال على المنحدر
لن يزلق قدميك

سوريا 1986 . 1989

في يوم المسرح العالمي

وأنا كرسي شاغر
الممثلون لا ينظرون إلي
والمتفرجون يجلسون على المقاعد الأخرى



يؤلني الممثل
وهو يلمس يدك
ويؤلني الآخر
وهو يعانقك
تؤلني الخشبة والستارة أيضاً
يؤلني الجمهور وهو يصفق لك طويلاً



ظهري يوجعني
ولست معكم على الخشبة
في يوم المسرح العالمي
أهديتكم ثماني قرنفلات

وكنتِ تعتذرين مني كلما مدحك شخص
في يوم المسرح العالمي
أسدلتُ الستارة
ولم تحجبُ من الممثلين سواي

دمشق - صيف 1990

وَدَّعَ قَطَارًا مِّنْ أَجْلِهَا

يترك في الفراش نوماً قلقاً
وبقايا أرق طويل
مكانه يرى الداخلين
مكانه فيه
يرى الخارجين
وامرأة مرتبكة لا تخطو إليه



ضغط كفه
عاصراً مصافحات قديمة



عندما ودّعها
ملأت زجاج القطار بالقبل
فتكسر هو
والقطار يرتب امرأة لن تعود

انتظر قطاراً كاملاً من أجلها
ولم ير سوى حقيبة تمشي وحدها
تركه القطار ينتظر
وفي يده.. بطاقتان



تلكاً في المكان
خطواته خوف
الوقت مهلته
والأمكنة جوابه
لأنه هكذا
خطواته دائماً بلا أقدام



رجل بشرفات كثيرة
ثم لا يطلُّ إلا على امرأة واحدة

وحيناً تتساقط عليه شرفاته
تتهدم علي الجدران
وعندما يتمايل تقع من جسده أسبابه
وتتراكم فيه القبور
يجمع الأسرار حوله
ويمشي مفضوحاً بها
قبلته العجائز من جبينه
والأصدقاء من خديه
وامرأة وحيدة قبلته في المرايا



تلمسَ وجهه
تذكر التجاعيد التي ستحتدم فيه
وعندما التفتَ
أحسَّ بندم قديم يعضُّ أصابعه



عندما مضتُ
لم يحزن كثيراً

ثم حزن كثيراً
لأنه لم يحزن



سرح شعره
لبس ثياباً جديدة
تأمل المرأة وندم
وعلى المرأة حاول أن يكتب شيئاً
ثم لم يعد يرى شيئاً
ثم لم يعد يُرى

حلب - شتاء 1988

تَذَكَّرُ

والحنين
حجر ثقيل فوق الكتفين



في المشاهدة ينسى
في التجول يبعثر نقوده
على عازي الشوارع والأنفاق
وفي ساعات الراحة
يعذب نفسه بالتذكر



في أنيه
شخص بعيد يحنو عليه
في غيرته
من يخلع خاتماً من أصبعه
حالما يمضي



يمضي بعيداً
ليمتحن جدوى الرسائل

لندن - كانون الأول 1991

هذا المساء

من الذي سيأتي الآن
تفوح منه العطور
وفي يده ورد
من الذي سيأتي
في خطواته لهفة
وفي طرقتة على الباب ارتجاف
من الذي سيأتي
من الذي سيفتح الباب ويعانقه
ومن الذي سيرقب المشهد
ويتكسّر من الإهمال

هل أنت وحيدة هذا المساء
كما قلت لي
لكن في عينيك بريقٌ غريبٌ
وعلى شففتيك نهم يقتلني
هل أنت وحيدة هذا المساء
لماذا نافذتك مضاءة إذاً
ولماذا على الشرفة ورد
ليتك تكونين وحيدة
كما قلت حقاً.. هذا المساء

إنني لا أكفيك وحدي
أصابعي العشر لا تكفي شعركِ
وساعداي لا يكفيان لضمكِ
وفمي
لا يستطيع رشف دماء شفتيكِ كلها
وحده

دمشق - شتاء 1992

طاولات باردة

الذين كانوا يتمنون لنا الخير
ويسألوننا عن الصحة والأهل والدراسة
الذين كانوا يضافحوننا بملء أكفهم
وعلى شفاهم ود عميق
الذين وقفوا على أبواب القرى
وهم يودعوننا بحرارة
تجاهلناهم في المدن الكبرى
واختبأنا منهم في زحام البشر

الذين افتخروا بنا
وسَمُوا أولادهم بأسمائنا
الذين أرسلوا تحياتهم لنا
على شفاه أشخاص عابرين
وحكوا للجيران الجدد عنا
لم يتذكرهم أطفالنا
ولم نجد الوقت الكافي كي نذكرهم

الذين علّقوا صورنا
في صدور بيوتهم
وخبأوا قصاصات رسائنا والورود
في كتب أطفالهم المدرسية
الذين دافعوا عنا أمام الآخرين
واهترأت أصابعهم وهم يدونون مآثرنا
الذين وصلت الدماء لرؤوسهم
وكسّروا الكراسي على رؤوس من استغابنا
كيف نسيناهم هكذا
يجفّون في المقاهي
خلف طاولات باردة ومظلمة

المرأة الصغيرة
التي تشاجرنا من أجلها طويلاً
ولكم بعضنا الآخر
حتى سالت الدماء من أنوفنا
المرأة التي نمنا في شارع بيتها مراراً
ونحن ننتظر إطلالتها الصباحية
المرأة الصغيرة.. ذاتها
بعد عشرة أعوام
مرت بجانبنا ولم ننتبه

الخرانة 5 التي أودعنا فيها رسائلنا
وشتائمنا للأساتذة
خزانتني في المعهد وقد ملأناها بالصور واللوحات
وأدوات التمثيل
الخرانة التي نسينا صورنا وأسماءنا داخلها
وخلعناها مراراً كلما أضعنا مفتاحها الصغير
افتحها برفق أيها التلميذ الذي سيأتي بعدي
لا تتزع الصور عنها
ولا تشطب فوق أسمائنا
افتحها برفق وهدوء
كي لا تزعج جثتي النحيلة في الداخل

أيتها الشوارع الضيقة في باب توما
أيتها الأدرج الحجرية إلى الغرفة
أيتها الكنيسة في بداية الطريق
أيتها الأجراس
ليس لي بعد الآن أن ألصق ظهري بالحائط
كي تمر سيارة في الشارع الضيق
وليس لي أن أستيقظ صباح الأحد
على صوت الأجراس
ليس لي أن أعد مريانا الصغيرة بقصة مصورة
وليس لها أن ترمي أعقاب السجائر إلى الغرفة
إنني حزين أيتها الغرفة
وأشد ما في حزنًا "علاقة مفاتيحي"
وقد حَسِرْتُ مفاتيحكِ الذهبي

دمشق - حزيران 1990

Héritage

1

أنتَ لن تمشي اليوم

لن تستطيع

فلا تؤخرني أيها الحب عن الحب

لي كلام عنك فانتظر

أنتَ لن تمشي تحت المطر اليوم

لن تستطيع

فدعني أتبلل وحدي

ودعني أرتجف

فلن أتأخر أيها الحب

ولن أدونَ كلاماً على شجر

أو أترك شيئاً يذكر بي سواك

وما من أحد ليتذكر سواك

ما أريد ليس كلمةً وبعدها يكونُ الرضا

ليس كالحقيقة ولا ناصعاً مثلها ولا حاسماً

فلا تسألني متى

إنه قرار الله
ولا تؤخرني أيها الحب عن الحب
ولا تخرج الدمى من جيب سترتك
ولا تضحك
ولا تقل إن الغريان البيضاء تحتاج لثلج أسود
ولا تغلف كفيك بالصوف ووجهك بلفحتي
الخضراء
قف على الناصية الأخرى ودعني لا أراك
لا تأت في حلمي
لا تطرق الذاكرة
ولا تؤخرني أيها الحب عن الحب
لا تلح مع الشمس
لا تتساقط مع الثلج
ولا تأت مع الريح أو المطر
إنني ماضٍ إلى الحب
فلا تؤخرني أيها الحب

سان بيتر بورغ 1993.1.15

2

سان بيتر بورغ هلوسة مخلوطة بفوضى
أشخاص ضربوا الأبواب بأقدامهم
واغتصبوا أمهاتهم في الظلام
ثم ناموا مرتاحين

سان بيتر بورغ حركتك داخل المدينة
وطيفك قرب الأرميتاج
أمشي محاذياً النهر
مستعيناً بضوء الثلج ولا أحد
وحدك
وتماثيل الأرميتاج حاشتيك

سان بيتر بورغ 1992.2.20

3

أشتاق إلى سترتك الملونة وضحكتك
أرغب المدينة ليلاً
أرى الضوء وهو يسقط على الأرميتاج
أمرُّ قربه ليلاً وأتخيلك تنتظرين
لكن لا شيء سوى التاريخ وهو يهذي
داخل جدران الأرميتاج
سوى التماثيل وهي تستل السيوف
وتتحارب بعد أن يخرج آخر حارس
مغلقاً خلفه الأبواب

سان بيتر بورغ 1992.12.22

4

لأننا محض أعصابٍ تتبارى في التلف، محض روحين مخربتين،
أتذكرك كل الزمان وأعض أعماقي المهدمة ندماً.
موحشٌ مثل فراشٍ باردٍ لا ينام فيه أحد
الممرُّ طويلٌ ومعتمٌ دونك، بحاجةٍ ليدك وفمك وشعرك، لطيفك
وهو يلومني أو يصرخ فيّ، لكنك لا تفعلين فأعجز أمام سكونك.
أيها الخطأ يا مساهري
نم.

نامي أيتها الذنوب واستيقظي مع صباحي

فما تركته مجرد عظام، مجرد عصب خال من الشفقة، مجرد
يد ربتت على كتفي وبقيت هكذا طيلة العمر تشي بالمغفرة وتوحي
بالملام، نامي أيتها الذنوب فليس في بالي سوى كف أخيرة لوحت من
خلف نافذة أخيرة لغيابي، ليس في بالي سوى نافذة، أفتحها كلما شئت
وأينما كنت لأرى الشام، نامي أيتها المرأة نامي فذكراك مدماة
وهجرانك أعمى، نامي أو ضعي نقطة بجانبني، فلست سوى شخص بلا
شفاهٍ أو عيون، بلا بريقٍ، بلا وردةٍ على الطاولة، بلا صباح الخير من فمٍ
محبٍ، بلا ورق للكتابة، بلا جرس يرن.

لست سوى خراب، اتفاق شخص على شخص، بقايا سعادة تمر في البال
ولا شيء سوى المارة وصوتهم للحظة العبور من أمام الباب، صوت الضوء
وبرد، أتذكر يدك وأحزر ما الذي كان يدور في بالك

وأنت تخربين القصة هكذا
أحسدك على الشام
أحسد الشام عليك
فنامي أيتها المرأة نامي
ولا تحكي لأحد ما فعلنا
ولا تتذكري شيئاً
لقد ضيعنا خواتمنا أيتها المرأة
فما جدوى أصابعنا بعد.

سان بيتر بورغ 1992.12.25

5

أول من يأتي إلى موعدنا أنتَ
ودائماً أتأخر
تعرف أي ورد أحب وتحضره
وتعرف أي الألوان
تتشرب حولك الظلال وأنت تنتظر
فتحبكَ الظلال
وتحبكَ ألوان ملابسكَ
الورد في يدك يحبكَ
والمارة أيضاً وهم يرونك تنتظر
تحبك المباني حولك والسيارات العابرة
والناس الداخلون إلى مبنى البريد والخارجون
أحبكَ أيضاً وأنا أتخيلكَ تنتظرني
أحبكَ وأنا أفكر
مرة أخرى لن أستطيع المضي إليك

موسكو 1993.4.20

6

بعد الحب

ما جدوى ما بيننا

فلست سوى جسرٍ يقودك إلى الهاوية

وروحى أشد ظلاماً

أقول الآن:

أستطيع أن أطرده الجميع من بالي وأطرده

ولكنك تستطيعين البقاء أكثر

أرجوك.. تستطيعين

موسكو 1993.4.3

7

شَعْرِكِ فِي الدفتر مثل ورقة شجر
اليوم ممكن أن أراك ومستحيل
في حانة قرب الأرميتاج
قال لي سائح عابر إنك لم تعود لي، وكان
لا يعرفني ولا يعرفك فصدفته
وفكرتُ أن ما بيننا سكة قطار مكسرة
وشعرٌ يحترق في دفتر
وعشرات المدن
وكلها ليست لي
وكلها تؤدي إلى امرأة لم تعد لي أيضاً
منذ زمن بعيد
كما قال لي سائح عابر وسكران

موسكو 1993.4.25

في شارع طويل

1

ها أنذا عجوزك

تجاعيدُ وجهك

وارتجاف الكف

ما تبقى في القلب

وما سَلِمَ من العطب

عجوزك المستوحش

السائر وحيداً

دون عكازٍ في هذا الشارع الطويل ودونك

2

أعمى أهوائك

الذي تقودينه مع كل طائرة إليك

عارفاً أنك لست لي مجدداً

وأن الشارع الذي تعبرين يجهلني

أعمى أمام جسدي

خائباً في المطار

والصديق الذي يسألني عنك.. يؤلمني..

3

أعرف من يعانقك الآن
وأعرف كيف يستغرب عرق كفيك الغزير
عرق المودة الذي بلل كفي في الصالحية
وباب توما
وشعرك الذي بكل الصفات
فمك البريء والشهواني
ساقاك وصدرك
كم كان علي أن أعلمك كي يحبك الآخرون
كم كان علي وأنا ألمس كفك أن أعرف
أن خاتمي - منذ زمن بعيد - قد خرج من إصبعك

4

في أي وقتٍ تستطيعين الدخول إلى البيت

لأن الباب يحنّ إليك

والجرس يشتاق لأصابعك

وفي أي وقتٍ تستطيعين

الجدران تحبكِ

والممر والكراسي

مقبض باب الغرفة سعيد وأنتِ تديرينه

والغرفة أيضاً

الشبّاك يحبكِ والخزانة والكتاب المفتوح

بجانب السرير

ومن الزاوية سأنهض للقائكِ

ومن أجلهم جميعاً سأقبلكِ

ولكنني.. يا الله.. كم أكرهكِ

5

أيها القلب

تستطيع أن تمحو الأثر

أن تقف تحت المطر وتضحك كأنها متعة

تستطيع أيها القلب

كما لا يستطيع أحد

أن تضحكَ كما كنت تفعل دائماً

كما لو كان هناك من يشدّ أزرع

كما لو كان هناك من يحبك

6

مهـمـا كـنـتـ بـعـيـدـة سـنـلـتـقـي يـومـاً
وسـتـركـضـيـن لـعـنـاقـي فـي حـضـور الزـوج أـو الوـالـد
وإـذا لـم تـفـعـلـي فـيـا لـلـخـيـبـة
كـانـت سـنـوات الحـب كـأـي سـنـوات

7

في بلاد غريبة

وأنتِ تجتازين شارعاً غريباً

أتألم وأنا أتخيل شخصاً سواي

يخافُ عليكِ من سيارة طائشة

8

ضجرَ شارع البيت مني

والشرفة

والزهور عل طريفِ الدرج

الشمس أيضاً ملّت مني

أنا ملقط الغسيل

المطبقُ منذ الصباح على قميصك الجاف

9

أحبك

كما لو أنك الصفحات الأخيرة

من رواية رائعة

10

ستأتين

ومن عجلتكِ سترمين معطفك على الكرسي

وتركضين إلى الغرفة

ستجدينني خلف طاولتي أفعل شيئاً

دون الدهشة لقدومك

أو ضحكة المفاجأة

بل إنك ستجلسين بجانبني

دون أن أنتبه لوجودك

وسترين بعينيكِ

كم من الصعوبة ألاقي

وأنا أحاول لصق صورتك الممزقة

حلب 1994.12.14

ضيوف يشيرون الغبار

1

رأيتهم يقتربون كما لو أنهم ضلال، قلت: "يومنا قريب" فبان
ملاحك، فتحت لهم قبل أن يطرقوا، ضيوف يتعثرون بالعتبة ويخلعون
أحذيتهم أمام الباب،

هذه روعي وأنا أقدم القهوة، روعي وهي ترتعش في فنانك،
روعي الخائبة في الفناجين غير المشروبة

فلتهبطوا علي بأقوايلكم وأقدامكم

ضيوف خرجوا دون تحية

ضيوف أثاروا الغبار أمام الباب

2

ها أنا

الخائب في عرسك

شبحي المختفي بين الجموع

والواقف بينك والعريس

وكنت قد رميت خاتماً في طريقك

3

صخب المكان ، "مار أفرام" يضحك على الحائط والمغني بُحَّ
صوته وسقطتُ أعماقه تحت أقدام الراقصين المغني يصيح والراقصون
يدلونه على الأغنية التالية ، صخب الأرض ، الأقدام تدق فيخرج النعاس
سيداً في الاستراحة الأولى ، النعاس والأكف المفتوحة.
أيتها العروس..

النبيد مراق في العروق والدم قريب ، أولاد العم يسقطون في عين
العريس واخوته ، الدم قريب.. والمطربون الشعبيون لوثوا أفواههم
بالأغاني السياسية

دقي روحي إذن بقدمك ، دقي جسدي بساقتك كلها وامنحيني
أصابعك قليلاً ، دقي عيوننا الخائبة فيك
وامنحينا بركة الليلة الخالدة فروح المغني مداسة بلا مبالاة
المدعويين ، لوثي أجسادنا بارتجاجك في الدبكة ، لوثي أكفنا الموحشة
بضغط أصابعك ، مرة ضعي الإكليل جانباً وافردني شعرك ، مرة
تذكري روحي الراجفة وجسدي النحيل.

الراقصون ينسون العروس وينتشون بأجسادهم ، الراقصون
يرتطمون بالسقف فتسيل الدماء من رؤوسهم ويتابعون ، الراقصون
يهتزون بعنف وعبثاً يتبعهم المطرب وضابط الإيقاع الذي لا تزين كتفيه
النجوم.

العريس زاه وعشرون خائباً ينكسرون للخسارة المفاجئة
"لوركا لوركا.. هاتي السكين واقطعي الجبن"
هاتي أعماقي المدسوسة في جسدك
ردي لي الأغاني والقصائد ومشاوير المساء واللقاءات الخفية، ردي لي
سُكَّرَ القبله الأولى وبحة صوتي، ردي لي عيوني العالقة فيك وعرقني
الذي يسيل من مساماتك، لوركا لوركا.. هاتي السكين وقطعي هذا
الجسد فلا سبيل إليك إلا قطعة قطعة.
من بين كل المدعوين نظرتِ إلي
ومن بين كل القلوب كسرت قلبي
تحيا العروس
يحيا العريس
إذا كان
نحيلاً مثلي
ولو أنك تغيبين عني قليلاً وتهطلين كالحجر الثقيل علي
ولو أنك بعين تشدينني إليكِ وبعين تلمين أعدائي عليّ
لأنك خيبتني في العلو، خيبة السنونو والزارزير في فضائي
خيبة كلامي في قفزة مترمع الراقصين عن الأرض
كم مرة علي أن أمد يدي لأرتب شعرك
كم مرة سأحضر البنفسج ولا تأتين
كم مرة سأضربُ في الأرض دون ترمي حفنة زهور على جثتي
أيتها العروس جرحوا معصمك بالأساور
وضاعت أصابعك في كومة الخواتم

كيف أعرّ عليكِ
كيف أفرّقُ بين الذهب وبينك؟!..

4

لا ترتبي شيئاً يا أمي
لا تسخني الماء
فلن أغسل هذا الجسد
لا تقتربي بالحنة نحوي
وخبئي العطور لأختنا الصغرى
لا تطرزي شيئاً
لا تداري شحوب وجهي

5

بالزبيب دهنوا شاربيّ
وغسلوني بالعطور
رائحتكِ تتعشني
وجسدك يرمي عينيّ إليه
كيف أضمك
كيف أضع كفي على صدركِ

كيف أرمي ثيابي وأرتدي الخراب
في ذلك

6

كيف سرق المطربون عويلي
كيف سيرى الغريب روحك

7

أثرت الغبار أمام بابي
خلعت قلبي
بيني وبينك كل شيء
كل شيء يمكن أن يهرق الدم

8

الأمير أمير حتى لو بكى
وعويل الذئب
عويل ذئب دائماً

9

يا ذئب امض عني

يا ذئب لا تمضِ

إنني أمزح

10

النوافذ لأجل الذين لا ينسون

النوافذ لإكمال القصص التي بترتها الأعراس

لأجل القبلة المرعوبة والقفزة الخطرة

النوافذ كي تلوّحي

كي أتسلق وأسقط في جسدك على مرأى من

الجميع

النوافذ

كي ينتهي هذا الكلام بدم

حلب - صيف 1989

تحت الملاءات

وأنتِ تغوينني، تغسلين خطاياك بما يغيث الأرض ولا تلوحين
لمجيئي المفاجئ، أراودك، أغضو على آثامك وأهتف: أنا الخطيئة الحقة
وأنت المرأة الجديرة بارتكابي، أخطأوك البحر وترهات العشاق، لن
أرجمك بعمري الناقص ولا أوقاتك بمواعيدي الهشة، لأنك دائماً
تحتشدين في النشيد مغتصبة الشعر ومكالة بمديحه، لأنك دائماً
الدهشة الباقية بعد القصيدة لا تلوين علي ولا ألوي.

تغلقين الأبواب عني وتوصدينك علي كي أسفك خويفي وأدلق
فيك وحدتي، تتكونين من الخوف والكتمان وما على السرير سوى
احتمال الخطيئة المدهشة، كذلك الموت، غمد أنثوي ونعاس ذكر
يسقط فيه، كذلك.. امرأة تداري نعاسها ورجل يداري الأرق، أما قلت..
تمايلي علي، لميني من أنحائك عاشقاً يحتذي بحروبه القليلة..

للأحلام وحدها ينعسُ

وللعاشقة وحدها ينحني

المرأة التي توصل الأوراق وتكتب

أنت التي تسندينني منك ومن رياح تهب، تترنحين عني إذا
باغتني قتل وتغمدين القصيدة في بياض الورق كلما خذلك وقت وأسرع
عن مواعيدك

لك أنا

وأنت للهواء

شتاءاتي الموحلة وجسدي النحيل

وأنت للبيوت الموحشة

هكذا أرتديك فرواً وأرتجف منك

تأتين غارقة بأنوثة القرى وألفة الشوارع، كنت أستميلك إلى

مقتل وقبرك سرير نبي في رقدته

أحبك، أقع فيك ولا أخرج إلا بمعضية وبعض أيد تجرني، قلت

دائماً نتبادل الأوراق وأكثرنا يباساً يحترق، أحبك..

ثم أريق دوراتك على كوكبي المقصر، ليس لك أن تسألي،

كل ما أقوله غارق في الفراغ كهواء

وكل من أناديه.. أنت

أنت وقامتك ونهداك وعنقك الخرز، وما للطواحين لا تأخذك في

دوراتها، ما للفحولة تتفرسك بعينها العمياء، أنت والدم الرتيب في

أحشائك، ورياحك وتلوج الجبال المسروقة من ألوانك، أنت واحتمال

الرعشة بين ساقيك وبقايا الأنوثة العالقة بطرف قميصك، أنت ويقظتك

المدبرة وحدود شهواتك، كلك وما يستميلي إلى القصيدة.. هباء.

وكرجل رمانى الوقت عند مواعيدك

أداري وحدتي بالقلق المستमित في أحوالك

تغمرين مساءاتك بالضوء وتتسكبين كنهر أعمى علي

وردة أنت ولن أتوجك بالرحيق

وكرجل ذاهل لن أشمك

ولو أنك تُودين بي، أيتها الحاملة سلة الليمون وما ينتابها من

تفاح وخطايا ، ليس لأنثى ذات الرائحة وليس للأقمار ذات الضوء ،
اندلقي على أوراقى لأخطك كوعورة الشعر ، إنى أخذتك من الآخرين
ومسرحي أقنعة تتبادل الوجوه ، أي اشتهاه يحمل إليك المقتل وأنت ترمين
الرجال من جسدك الغابر ، ولو أنك تقتلينني .. أحبك .. من فمك حتى
العنق فالباب المؤدي لغموض اللحظة ، وقد اقترب العارفون مهللين لك ،
أنت تعرفين كل بأس فليس لك بعد أن تُغمدي فيّ ، كما ينتهي القتل
بحياةٍ تباركه أو بمن يندم .

بلودان 1987

أعماق مُقادة

اقتربي قليلاً أيتها الخطأ المذهل، كل ما قالته الريح لشعرك
كان خفيفاً ولم أحترق في غيبة من بردك، لم أنزل عليك الأنهار وخبأت
في أصابعي كل ماء كي تبقى في جسدك رائحتي، إنني أسقط فيك فلا
ينتشلني أحد.

لست من أرتجف أمامها، ولست العارية على فراشي، قسوة
الرب كي أكرهك، كي أمنح سطوتي دخانك وألفاً روحي حول
روحك، أقذفك إلى أعرق بئر في. أنت الكلام الذي قلته وندمت
الكلام الذي لم أقله وكاد يقتلني

تقودين أعماقي إلى الهبوب وتتماسكين، .. أسرار.. كي
أضحك، ولو أني متوج بأنينك، لا أرتسم ورداً أو نحلاً في وجهك، هواء
أخرب رثيتك، ماء أغرقك في وأستريح، أو عاصفة أهيل عليك ما
أستطيع من تراب.

المنحوس بطالعك، لا فأل لي كي أمنحك حياتي الباقية، ولا
ماض لي كي أتوجك بمجدي الغابر، فليقتلك الرب لأعرف أين الأثني.
أراك في الطريق وتحت الأوراق، في شتاءات هابطة على شعرك
وتحت أمطار قاسية، في الأقبية ومداخل البيوت ولا أرمي عليك سلامي.
ولو أن طعم فمك في فمي وزغب بطنك يداعب بطني، تحياتك في
أصابعي وخرابك في روحي، كيف أسقط ما علق منك في، لأنك

خصمي وحببيي فلا يحكم بيننا الرب ولو بالعدل.
لأنك بجعة تتعري من ريشها وترمي جسدها لقامتني المتعبة ،
أترك جسدك تحت جسدٍ غريب.

أدخل ولوقفتي هيئة ثملٍ
وتحت أقدامي تمر سنونٌ مرة
بصفات منتقم غابر
يقتلك لا ليثأر من أحد
وينتحر لا ندماً عليك
أرمي زهوري على المائدة وأرمي أسلحتي ، ومثل عاشق عظيم أكرس
أضلاعي في عناقك ، أرمي روعي على المائدة وأقبلك.
مقدم عليك وفي كفي المطبقة تلمع صورك
موشكٌ عليك وأسرارك تطل مني عيني
ولقد وقفتُ أمام بابك
وكم كان الحشد
كم كان

دمشق 1989

من يربط أقدامى بأسئلة الحديد

ولأني حي أتوق إلى موتي
ولأنك حاضر أتوق إلى الغياب
من يوارى لهفتي في غير مكانها
من يضع لفمي حروف الردة
ومن سيربط أقدامى بأسئلة الحديد
أدخل الحرب، في هياتي عشرون متحارباً، أبحث عن غيري ولا
أحارب سواي، أخرج منتصراً وتحت إبطي عشرون رمحاً منكسراً،
أخرج منهزماً وفي ظهري عشرون رمحاً وكلام
أيها الوريث الأخير لمسافات الأرض أخرج الطرق من جيوبك
وانثرها رحيلاً أمامي، لو تكلمت الأرض لباحت بك، لو بكت السماء
لذرفتك، ولكني داخل الحرب وخارج الصليل لا أجد سواي
في أوراقك تتجمع نهايتي، في حبرك يدور كلامي
أية ريح ستقتلع من فمك أسناني الهرمة
أي شجر سيمنح جسدي ظلالك
بدأت الأعراس، وفي كل عرس كنت أهيب نفسي لقتلي، وفي
كل مرة ينتصب موت بيني وبينني ولا أقتلني.
أنتظرك خارج الطرق ولا أرى في المسافرين سوى قامتك المائلة
علي، العالم ضيق علي

أوهذه الرقعة الصغيرة تحت قدمي
فضفاضة علي
إنها الريح ، صفيراً آخر مغنّ في هذه الرقعة
إنه الكلام
دونك ودونه
أضع رأسي على الوسادة
ولا أنام

الحسكة 1986

روحك أمامك في المرأة

كأن نتردد في القول، الكل يسقط والجزء يصيب
لكن لا شيء سيأخذ منا ما جمعته السنون، لا شيء يمضي
أكثر منا إلى نهايته، حتى لو كان الموت دليلاً، نكون السابقين ولن
نبنى خلفنا أي غبار أو ملهاة عبارة.

- ولكنك لا تجيب

- كأن نحتدم في القول ونترك للريح أن تحاور الرمل، حيث لا
مكان لسؤال ولا شفة لجواب، عندما تموج الحقول ويتساقط السنبل،
حين يرتفع الموج ويفرط البحر على الرمل يحق لك السؤال ويحق للجميع -
ماذا جنت السواحل من البحر

وماذا جنى البحر

لأنني سيدك أو يروق لي أن أكون كذلك، حين تخرج
الحكايا المنسوبة للريح يحق لي أن أكون سيدك ثم أحنى قامتي لسيد
آخر ثم يحني حتى نكتشف السماء

- كم تمزقت حتى بنيتُ ثوباً كهذا؟

كم جرحتُ كفي وأنا أرتبُ سيفَ العدالة بين كفتي الميزان

- كي ترى ما لم يره الآخرون

صراع الهين على صلاة امرأة

طرقاً تقترع على خطوتها الأولى

- هذا عدل يتراقص على الموازين، يرصع قدميه بالمعادن ويسقط

في الكفة الراجحة، هذه ريح تعصف بما تشاء وهي عمياء.

هذا الكلام غريب عن الشفاه

أنا الكلام وغيري يزين الشفاه

أعلن وقتاً لم تعلنه الساعة

أنا الكلام وغيري يريك الأقلام

أعلن صفيراً لا تصل به القطارات

أجتمع، لا شيء يبعثني

أتناثر، لا شيء يلمني

أموت والبياض حولي خطيئة دامية

ما بقي من ركض في أقدامي لا يكفي للهروب

وما بقي من صوت في فمي لا يكفي للكلام

فماذا جنت السواحل من البحر

وماذا جنى البحر؟..

- كأن هكذا، أن تتمرغ في الريح بكل جسدك، أن تتبارى

مدائح الهواء فيك ثم تسفك الأجوبة عند قدميك، فما من خطوات

ستمحو خطواتك إذا كنت آخر القادمين، وما من قدم إلا وتعثرت

بخطواتك إذا كنت أول الآتين، ألاقبك عند حافة الأرض وإذا سقطت

فلن يلتقطك غيري

أحضر شتائم الأرض كلها وامدحني

- أهزك كي يسقط قتلاك منك وأقع فيك مذنباً أكيداً

وخطيئة لا تعاد، أدور عكس الأرض ولكني أدور فيها، أذبل عندما

تتفتح الورود ، تتنابني كأنك الرعشة.

- قلتَ ما ينبغي وسمعتُ ، ولكن قل لي أية ريح تعصف بك أقل
لك من أنت ، أقل لك أية ريح أنا ، فتنظر إلي نظرة الذي وصل إلي حتى
يتبدد عمرك وأنت تصل لأنني روحك أمامك في المرأة.

- قل لي يا روعي في المرأة إذن إن الخيانة تأتي من جهة واحدة ،

تأتي من الخلف

فأي المرايا أكسر إذا كانت الخيانة تأتيني من كل الجهات..

حلب .كانون الثاني.1987

طريق عودة منسي

أيها القبة المستحيلة

أيها الرسالة التي لا تصل

عندي كلام ضدك.

من أحبك سقط عند حدودك لاهثاً، من كرهك أقل عند
مشارفك، وأنا.. كم تعذبت فيك وأنت تضمد موتاك كما لو أنهم
جرحى.

لأجل من ساقف في الظهيرة الحارة، لأجل من سأرحب بالذباب
والرطوبة والضيوف العابرين، بالماء البارد والأجساد المستلقية على
الاسمنت العاري، بالخناجر العالية والأواني الصدئة في الباحات.
بالنصال الدامية وصوت السيارات العابرة وطنين الدراجات النارية من
بعيد، بطلقات حرس الحدود في عز الظهيرة، بالرطوبة وصرير الأبواب،
بالرجال المكشوفين تحت الظهيرة، بالرجال المقتولين في غفلة من
الشمس.

منذ زمن وأنا أعد النبيذ

أعد كلامي المنتشي

منذ زمن وأنا أبتكر خساراتي

وأسوق الريح ضدي

دون شباك أعبر البحر، أودعُ روحي في جميع الأسماك ودون

سملكِ أعود، وعلي أن أدق جميع الأبواب كي أسترد قتلاي، كي أتذكر ظلي وهو يسبقني إلى الأرض، قليلاً من الوقت إذن أيها الموت كي أحمد عصيان قلبي، قليلاً أيها الغريم الصامت، فماذا بعد أن شردت أبقار القرى إلى المدن المجاورة، ماذا بعد أن صدمتها الشاحنات العابرة، ماذا بعد النجوم التي حطت على أكتاف الضباط كاعتراف من الله.. ماذا؟.. وبماذا ستكمل المهزلة أيها الغريم؟..

ضد كل شيء من أجل لا شيء يا جليس الساعة الأخيرة، يا سليل الشر وجاني أوراق البشر من السماء، دع لي أن أكرهك قليلاً، أن أسابقك حتى آخر المسافة المفضية إليك

أيها القبلية الأخيرة

أيها الرسالة التي دائماً أصل إليها

ليس الهواء ما يوصل صوتي، ولا البناءون من يعيدون ترتيب جسدي، ليس خراباً ما يعتريني وليست المتعة ما يؤخرني عنك، لقد اقتربت منك أيها الموت فدع لروحي أن تصفر قليلاً كما لو أنها تصل على مهل، دعها ترقص قليلاً كما لو أنها غير آبهة بك، دعها تستعيد ألق السنين الغابرة كما لو أنها تصل سعيدة.

منافسي الأوحده وغريمي الأخير، آخر الذين يصلون إلي، أجملهم وأقساهم الموت.. شريك الأرواح، عشيق أهوائي ومدمر حالي، دع لي أن أترنج في طريقي إليك كما سكير لن يصل. وهل أصل إلى اللحظة الأخيرة، لحظة اعترافي بكل أخطائي، وهل سيرافقني أحد؟

. لا أحد يرافق الريح إلى الخراب سوى ما تعصف به

اعصفُ بي إذن، معي الجميع وانتقيني، فأنا الذي ضدك من
أجل أن أموت، ضدك من التراب إلى التراب ومن الدودة إلى الدودة كي
تقول إنك تتنفض لأجلي الآن، واني الأوحـد الذي قدّمَ إليك حياة كاملة
أقدمها لك كما لو أننا صديقان، أيها الغريم الأخير فليكن للريح
مكان بيننا وليكن لي أدفن تحت هذا المكان.

غير أني لا أعرف أين أمضي بكل هذه الأخطاء
لا أعرف من يمتلك الحب العظيم كي يصفح عنها جميعاً، ولا
أعرف كيف ارتكبتها في هذا العمر القليل وحدي، أرتجف بجانبك
وفي غيابك أرتجف وفي غفلة من أصابعك أرفع كفأ من الخواتم وأهتف:
بصحة الموت هذا الخراب
هذه الأسوار والخناجر الملتمة

كسرد ممكن لهذا المستحيل، كأن أصفك وأتركك سراً
ينخر في فمي
أيها الموت هل أستطيع أن أحصيك، هل أستطيع أن أمتلاً
بالنشوة وحدي؟..

أتوقع داخل روحي فيفضحني الجسد، أخبئك في جسدي
فتفضحك الرأحة، ماض عنك.. لك أن تشيعني فأنا أنسى الحكاية،
كلما ابتعدتُ عنها وأنسى زبيني يابساً على الأسطحه،

أنسى غسيلي
تحت المطر
وأنسى طريق العودة إذا ما عنَّ لك أن تناديني
ملك مخلوع وعرشي أسنان مخلوعة مثلي، عندما أمضي ناسياً

أوراقى الخاسرة فى الكتب المقدسة أظن نفسى من قتلَ المسيح..
كسرء ممكن؁ كأعجوبة أفلتت منك بأعجوبة
ناسياً غريمى خلف الطرىق؁ ناسياً هاوتى

حلب . 1990

كما لو أنك ميت

إلى شاهي

الطبعة الأولى - وزارة الثقافة 1998

كما لو أنك ميت

أيتها الأعماق البائسة
أيتها القشور البرّاقة الضاحكة
في خريف أبدي
تسقط أوراق الصفرء
فيدوسها الآخرون بلا اكتراث
آه أيتها الأعماق البائسة
التي تتنُّ تحت قشور برّاقة ضاحكة

وحدى أمام نافذة
لا مشهد خلفها
البيت كئيب
والجدران مملّة
وحدى أعضّ ضجري ووحشتي
مهملاً
خرجتُ امرأتى
وتركتنى فى البيت وحيداً كامرأة

سأترككَ وحدك
مع هذه الشمعة
وهذه الكأس
مع خطاياك يا رُوحِي الصفاء
رأيتكَ من بعيد
وكنت لا أستطيع إلا أن أراك
الألم ثقيل على قلبي
والحب أيضاً

أنسى شعركَ الأسود
لأن سواك بشعر غير أسود
أتركك في بلادٍ بعيدة
غريباً ومستوحشاً
تريكني رسائلك وخطُّك الركيك
يريكني الطابع الغريب على الظرف
لا تكتب شيئاً أرجوك
ولا ترسل كلاماً على شفاه عابرة
فأنا لم أعد أحبك
ولم أعد أذكر منك سوى مزاياك الحسنة
كما لو أنك ميت

لا تفعل شيئاً من أجلي

فأنا مجرد شخص منسي وموحش

مثل وردة في مزهرية جفّ عليها الماء

مثل خشب في باب بيت مهجور

مثل ريح تهبّ وحيدة في صحراء

أمشي في الشارع وحيداً
أردُ على التحيات العابرة
هناك من يقبّلني
ثم يشتمني بعد أن أمضي
وهناك من يعرفني على صديقتة
ثم يقول لها: أفاق، موهوب وسافل
هناك من يغيّر طريقه كي لا يراني
وهناك من يبذل جهداً
كي يلحق بي
أو يناديني بصوتٍ مرتفع
ولكنني أكون قد ضعتُ في زحام البهائم
تسحل خلفي سمعتي السيئة
مكشوفة مثل مخبرِ رديء

أكرهك

لأنني وحشتك الباقية هنا

والأنين المكتوم على مضيك

أكرهك

لأنني مجرد شخصٍ يذكرُ الآخرين بك

لا تكن شيئاً لأجلي أرجوك
دعني وراء هذا الجدار
ولا تكسر هذه الوحشة
فالهواء الذي مرّ لم يحرك شعري
وأعدائي انهمكوا باقتسام الغنيمة
وتجاهلوا محاربتني

مضى الآخرون
كما يحدث دائماً
دون أن يتركوا ورقةً على الباب
أو كلمة عند شخص ما
مضى الآخرون وتركوني
وحيداً وجميلاً
مثل أمير حزين

ما الفائدة إذن
من هذه القصيدة
إذا لم تقرأيها بخط يدي
ولم تتسألي لماذا حذفتم هذه الكلمة
وبدلتها بأخرى
إذا لم تمنحنيها دفء أصابعك
وحنان نظرتك الدائم
ما الفائدة إذا قرأتها هكذا
كما يقرأها الآخرون
على صفحات جريدةٍ أو كتاب

في هذا الشتاء

بين ريح قاسية ومطر
برودك أيضاً يكملُ المشهد

في هذا الشتاء

بين هذه الريح وذاك المطر
كيف لي أن أقف.. دونك

مللت مني
وربما من الغرفة الجديدة أيضاً
طرقات حذاءٍ تمضي بعيداً
وأنا أنتظر أياً كان
لا أحد..
أية يدٍ حنونة ستطرق الباب
ولو خطأً

قهوة على الحائط
عضة في الرسغ
فناجين مهشمة في الممر
ونبيذ مراق
خرج الضيوف خجلاً
وأنت سعيدة
فها نحن وحدنا مرة أخرى

أيها الصوت الآتي من بعيد
في رنينك مودة
وفي لهفتك حب
فلا تصدقني أيها الصوت
وقل مرة عني (كاذب ومخادع)
كي أنام مرتاحاً

ولكن ما الذي تريدُ
تمضي متى تشاءُ
ومتى تشاءُ تعودُ
أما آن لك أن تعرفَ
أنك مؤلم حين تمضي
ومؤلم أكثر حين تعودُ

الكراهية

سقطت الوردة من الكف
وما لَمَّها أحدُ
والذي أحبك أيضاً
سقط
وما لَمَّ كلمته أحدُ
والذي كرهك
عاش في جسدك إلى الأبدُ

لأنك خنت سيدك
أمام حارسك
أضحى داخلك وحيداً
مثل ثقب في إبرة مرمية

أمام نجمتي الوحيدة
وتحت قمري الساطع
كنت تقبلين سواي

هذا كثيرٌ على القلب
أكثر من آلام الحب
أكرهك لحظة حتى أنسى أنني غنيتُ لأجلكِ
أنكِ بكيتِ من أجلي
وسهرتِ حتى الصباح فوق صورتِ الباهتة

والذي على مهل مدّ يده إلى ثوبك
فقبّلتَه وشممتَ جسده
والذي أحببته
والذي ضيعته
والذي لكِ
منْ حكيّة لرفيقاتكِ عنه
ولامستَ شعره بيدكِ
وخلعتِ ثيابكِ من أجله
وضربتَه وخمشته فأحبكِ
ثم مضيتِ وما عدتِ
فأحبكِ كما لم يحبكِ

لقد أتى الجميع
وسأعلق عينيَّ
كي لا تكوني بينهم

آه منكَ

يا نص الكراهية الأرعن

بالقبلة تبدأ الكراهية
بأغنية قديمة نعرفها
بشارع مشينا فيه معاً
بشجرة عليها اسمانا
بسريـر رديء فيه رائحتنا
تبدأ الكراهية
كالحقيقة.. مخيفة وساطعة

حلب 10.1.1994

في أي بيت

لم تقل أُمي لضيف
هذا سريره فلا تتم عليه
ولم تتبه أختُ زوجها
كي لا يرتدي قميصي
ولم يقل الأب للعائلة
لا تأكلوا.. انتظروا حتى يأتي
ولم تقل أختُ لأختها
لا تفتحي الباب عليه فهو نائم
ولم تقل لصديقتها
حاذري .. إنها زجاجة عطره
ولم ينبهن أولادهن
كي لا يمزقوا كتبي ودفاتري
لم يقل أحد شيئاً
غير أنهم جميعاً يعتقدون
بل ويقولون للأغراب بحسرة
إنهم لا يملكون في هذه الدنيا البائسة
شيئاً سواي

دمشق 2.12.1995

فوق أرض جليدية
وتحت أرض موسكو
وسط ربح باردة
بأقدام مرتجفة
وأصابع موحشة
أنظر بعيداً حيث دمشق
عارفاً أنني لا أحن إلى الدفاء والشمس
بل إليك

موسكو 5.1.1993

أربعون ألف متفرج
يشجعون الفريق الأحمر
وأنا وحدي أشجع فريقي الأخضر
أربعون ألفاً
يشهقون ويصرخون ويزمجرون
عند كل كرة ترتطم بعارضة مرمى فريقي
أو يلتقطها الحارس
عند كل فرصة لهدف أو هجمة خاطفة
وأنا وحدي لا أستطيع القفز
عند كل كرة خطيرة لنا
ولا أستطيع أن أصفق
لهجمة حلوة أنجزها فريقي
ثم يحرز فريقي هدفاً
فلا أقفز ولا أصرخ خوفاً منهم
ونحرز هدفاً ثانياً
فلا أنفعل
لأنهم أربعون ألفاً
يستطيعون سحقي لحظة غضب
ثم تنتهي المباراة

فيخرج الأربعون ألفاً مزمجرين
وهم يشتمون كل شيء
ويرفسون حجارة الطريق
بينما أبكي أنا
فيريتون على كتفي
وهم يعتقدون بأنني
أشدهم إخلاصاً لفريقهم الخاسر

دمشق 23.12.1995

لي الحق
أن يقودني أحد ما إلى الهاوية
أن تفوز روعي بالسماء
لي الحق
أن تطرقي الباب يوماً
فلا تجدينني
أن تضعي كفك على كتفي
فتجدي أنها على ماء

دمشق 1.11.1995

هذه السماء الواطئة
والأشجار الكئيبة العارية لي
الشتاءات القاسية
الثلوج ووحشة البرد
الأرصفة والمقاهي الرخيصة
الحانات الصغيرة
والباصات المزدحمة
البشر الحزاني
وضجر الأيام لي
وفي أيامي السوداء
تمضي نضارتك وضحكاتك
فمك المرح
وعيناك المتألقتان إلى سواي
ولكن يكفيني
أن روحك المنكسرة
وشحوبك
ووحشة عينيك دائماً لي

دمشق 4.11.1995

عندما أعود إلى بيتٍ
أي بيت
تلفني الكآبة
وأنا أتلمس المفتاح الغريب
أخرجُ دفتري وأكتب قصيدة في بيت
في أي بيت
وإذا فاجأني أحد وقاطعني
فلن أستطيع الصراخ بوجهه
كي يتركني أكتب
وإذا مازحني أو سخر مني
تحبباً أو كراهية
فلن أفعل سوى أن أضع القلم
وأحدثه حتى يضجر
لأنني في بيت
في أي بيت
وعندما تكونين منهكة من التسكع آخر الليل
تضيفين كآبتك على كآبتي
وأنتِ تتمنين أن تمضي معي
ولكني لا أستطيع سوى

أن أوصلك إلى البيت
وأخذ كآبتك معي
وأمضي إلى بيت
إلى أي بيت

دمشق 3.11.1995

سوف يسقط الثلج
وهذا محزن
لأنك لن تكون هنا
دائماً كلما سقط الثلج
لا تكون معي
وأنت تعرف كم أحب الثلج

لا تسقط أيها الثلج أرجوك لا تسقط

§§§§.§§.§

لم أسجل يومها
تاريخ كتابة القصيدة
ثم احترتُ بعد ذلك
أي تاريخٍ أذيلها به
وأي مكان
بحث عن تاريخ مزور لها
ومكان مشير
ولكني لم أجد في أيام السنة
يوماً مختلفاً عن يوم
ولا على سطح الأرض
مكاناً قريباً من قلبي
لم يتبادر إلى ذهني
أي رقمٍ عزيزٍ على نفسي
من هذا التاريخ الطويل

دمشق 27.12.1995

لو أنك لم تمت الآن

إلى جوان شيخو

لو أنك لم تمت الآن
لكنت سأكتب لك رسالة
وأقول:

حياتي مظلمة
وأحياناً حلوة

لو أنك لم تمت الآن
لكنت سأكتب:
أنت صديق بلا مناسبة

وأن أمك تحبك
كما تحبني أمي
وتخاف عليك

ولكن..

لو أنك لم تمت الآن
لقلت:

إنك مثلي
ولكن أرق
وأقل خبثاً

وإنني متردد وعنيد

وهش مثلك

وكنت سأقول: أريد أن أموت

حظي من البشر مثل حظك

ولو أنك لم تمت الآن

لما تألمت

وما تكسرت أعماقي

وما فكرت أن هناك من مثلي

سيئاً لم لموتي

لو أنك لم تمت الآن

دمشق 8.8.1995

أن تخرج من البيت مسرعا
وأنت ترتدي آخر قطعة من ثيابك
وتحشر قدمك في الحذاء
أن لا تتذكر لفرط عجلتك
إن كنت أغلقت الباب خلفك
كي تمضي إلى لقاء لن يتم
حيث لا أحد ينتظركَ
ولا أحد يكسر قلق وقوفك الطويل
أن تفكر أن لا أحد يستحق
أن تخرج من أجله صباحاً
دون أن تشرب قهوتك

دمشق 15.8.1995

تقسين ويعلو صوتك
تتأخرين في القدوم
وأحياناً لا تأتين
لأنك تظنين أن قلبي حجر
يخفُّ كلامك الجميل
وتقل ابتسامتك
وتفكرين بالمضي
بل إنك الآن تمضين
لأنك تظنين أن قلبي حجر
دون أن تنتبهي أنه يتفتت الآن

دمشق 10.9.1995

الذين مضوا
الرسائل التي وصلت منهم
ولم أجد الوقت الكافي لأرد
الرسائل الضائعة
والعناوين الغامضة
لأشخاص داسوا على كرامتهم
وكتبوا لعشرات المرات
دون أن يصلهم جواب
ولكنهم مازالوا كما كانوا
في الشوارع أو البارات
يكتبون لنا
ويشددون أن نكتب العنوان جيداً
لأن رسائنا لا تصل

دمشق 1.9.1995

في الظلمة
وسط هواء بارد
أخذتَ مني كل شيء
ومضيتَ أيضاً
تحت أوراق صفراء
وقمرٍ منكسر
كنتُ أناديك
أخذتَ معك كل شيء وتركتني وحيداً

في الظلمة
وأمام نهر مسرع
تحت المطر
وبين ريح قاسية
فوق قمة شاهقة
أخذتَ نفسك مني
وتركتني للذئاب
وحيداً وعارياً

دمشق 13.5.1995

كيف لي أن أحظى بصديق مثلك
في هذه الأماكن
حيث لا شيء سوى ماء راكد
وأحاديث مملة
يا صديقي أندرونيك
الذي دافع عن فتاة عابرة
في أحد شوارع موسكو
ها إنني أنتظر قدوم الصديق من سهرته
أمام باب بيته الموصل
ها إنني أنتظر
يا صديقي أندرونيك
الذي ينتظرني
على أبواب مطار موسكو
كل صباح

دمشق 9.6.1995

لأن العرس لم يكن مبهجاً
والأم لم تبتسم لقدمك
لأن الأخوات لم ينتبهن لوجودك
وأولاد الأخت لم يركضوا إليك ضاحكين
خرجت وفكرت
ربما لأنك عنيد
عناد قصة حب يحاربها الجميع

دمشق 3.7.1995

في وقت متأخر الليلة
أنتظر عودتك أمام باب بيتك
وأخاف
أخاف أن أرى شخصاً يوصلك
أو يداً غريبة تصافحك
أمام الباب وتختفي
أخاف
أن أراك تهبطين من سيارة فارهة
وعلى وجهك ابتسامة رضا
أمام باب بيتك
وبقلب مرتجف أنتظر عودتك
خائفاً من ثقل المفاجأة
ولكن كم سأكون حزينا
إذا لمحتك تظهريين وحيدة
من بداية شارع بيتكم الطويل

دمشق 12.3.1995

أيها الشخص الذي طرق بابي خطأً
دع لي عنوانك
كي آتي يوماً
وأطرق بابك
فربما يرقص قلبك فرحاً
وتعود روحك إليك
ربما تستفيق من أساك ووحشتك
وأنت تجلس وحيداً وحزيناً
ربما يدخل الأمل إلى قلبك
ولو للحظات

دمشق 20.12.1994

ستوقظكِ عتمة البيت
وسترين كل شيء
وقتها سأكون معكِ
في كل مكان من العتمة
ولن تستطيعي لمسي
شعركِ صار أطول
وذنوبي أيضاً
لأنك جميلة معي ودوني
موحش ترددي
موحشة أيامي السوداء
وهي تغيبُ ألوانك الزاهية
أعطيكِ مرضي وتسكعي
وجيوبي الخاوية
ويأخذ سوائكِ صحتي
ونضارة الأيام والمرح
كم كنتُ حزيناً معكِ فأحببتني
وكم كنتِ ستحيين مرحي

دمشق 16.2.1995

روحي رقيقة وهشة
لا تحتمل أخطاء هذا الجسد
ولا فظاظة الآخرين
لو أموت .. فأرتاح
ولكن روعي ستئن تحت وطأة أرواح الآخرين

دمشق 3.7.1995

ألن أبقى للحظة وحدي
ألن أجلس لساعات دون أن أنتظر أحداً
ألن يتوقف قلبي عن المشاعر
كي أستريح
كي أستمتع بصوت طرقاتك على الباب
وأنا أعرف أن لا رغبة لي بالنهوض لأفتح

دمشق 23.7.1995

لم يعد هناك ما له ضرورة

ثيابي متسخة

ودفاتري مليئة

كل شيء ركام

البُزق في الزاوية بلا أوتار

وامرأتي بلا مشاعر

دمشق 24.7.1995

يأسي عليكِ
هو يأسي منكِ
وضجري ووحشتي
قلبي الذي يتألم عليكِ
ويحرسك من الشر
ويحمي روحك من كراهيتي
تمشي عقارب الساعة على عنقي
بطيئةً وحادة
بلا كيان
بلا هواء
بلا أم كل صباح
بلا أب وإخوة على الغداء
وحيداً أمام مرآة مكسرة
هذا الاستيقاظ المبكر
والماء البارد على الوجه
والعطور على الجسد تمضي سدى
لأنك لا تأتيين
أقتلُ بيدٍ باردة ومظلمة
ولكن

عندما أسمع صوت خطواتكِ على الدرج
أحبكِ
أحبكِ وأقول:
يا الله كم تحبيني
كيف قطعت كل هذه المسافة
من أجلي

دمشق 26.7.1995

امنحيني بعض الوقت

إذا كنتِ ستمضين

بعض الوقت

كي ألمّ أوراقي كلها من حياتك

كي أعرف الفرق بين ألم الخيبة وألم الحب

بعض الوقت

لأتذكر أصدقائي الذين نسيتهم وأنا معك

أو لأردّ على رسالة منسية على طاولتي

لأعرف إذا كنتُ سأبقى وحيداً حقاً

وفي أي مكان

بعض الوقت

كي أعرف الوقت الذي أحبيتك فيه

والذي كرهتك فيه

والذي بلا مشاعر

بعض الوقت

كي تكون النهاية حاسمة

لا يخالطها الألم عند ارتياد مكانٍ كنا فيه معاً

ذات يوم

أو عند اللقاء بصديق مشترك

عند صورةٍ لوجهكِ على كتفي
أو قطعة من زينتكِ منسية في حقيبتني
وأخرجني بعدها من حياتني
كما دخلتها
بعناد وإصرار
ولكن امنحني بعض الوقت
لأجد مشجباً واحداً
أعلق عليه ثيابني آخر الليل
دون أن أشمَّ فيه رائحة ثيابك

دمشق 7.8.1995

وحوش العاطفة

إلى شيرين

الطبعة الأولى - دار كنعان 2000

وحوش العاطفة

لا تطلبُ قلماً من أحد
ولا تطلبُ ورقة
اكتبْ على كفِّكَ
على وجه صديقتك
على الجدارِ
على بنطال امرأة بجانبك
اكتب على أي شيء
كأنما الصينيون لم يخترعوا الورقُ

مرمر 2000.10.6

لم تعد هناك فائدة
ترجى من هذا القلب
فهو لم يعد يشعر بالحزن
ولا بالفرح
لم يعد يدق بقوة
من أجل حب مفاجئ
ولم يعد يخمد وينطفئ
عند كل خيبة
لا فائدة ترجى من هذا القلب
سوى أنه يضخُّ الدماء
إلى هذا الجسد البائس
الذي لا يريد أن يعيش

مرمز 1998.11.23

❖ ما بقدر اشوفك، ما رح أقدر أتحمل حالي، كل ما شففتك
رح احبّك.. وأنا ما بدي احبك.

- كنت مفكر أنو حتى إذا ما شففتيني رح تضلي تحبيني.

❖ أنا دايماً بحبك لدرجة نسيت فيها شكلك، شعرك وعيونك
وتمك، نسيت كل شي فيك وما عدت أتذكر غير أني بحبك، وحاسة
أنو لازم أعطيك كل شي مع أني بعرف منيح أنو ما رح يكفي، أي شي
بقدملك اياه بيضل صغير قدامك، ومشان هيك ما بدي احبّك، وما بدي
اشوفك لأنني كلما بشوفك بتذكر هالشي وبكره حالي، وكمان
بكره أتذكر أنو ألك شكل، أنت شي ما لازم يكون أله شكل، شي
بحبه كثير كثير وما بعرف شو هو.. خايضة كثير أعرفه، شي
بيخصني ألي وحدي، أساساً ما بيخصك.

- بحبك.. ومشان هيك بطلع مع كل رفقاتك وبعمل أي شي
مشان ما يخلوك تطلع معنا، ما بحب اشوفك مع رفقاتك ولا بالمشاوير،
وما بحب اشوفك بين الناس وأنا بعرف أنو محلك هوه لحالك، ما بحب
اشوفك عم تضحك وأنا بعرف أنك ما عم تضحك ولا رح تضحك طول
عمرك، ما بحب اشوفك عايش متلك مثل بقية الناس لأنني بعرف منيح
أنك من زمان تمت.

- أنت بتفكري أنو كل الناس اللي جواهم نضيف لازم يكونوا
ميتين، بس أنا ما بحب اموت.. بحب اعيش بالطول وبالعرض ولآخر

نفس.. ومستغرب كيف شايفتيني ميت؟!..

❖ غريب.. وقت اللي بدك ما تفهم علي ما بتفهم، أنا طول الوقت بفكرك ميّت، يعني ما قدرت ولا مرة اقول أنك غلطت غلطة أو أنك عملت شي مو منيح، دايماً أنت منيح وأنا متأكدة أنك رح تضل هيك طول عمرك، يعني ما رح تغلط أبداً .. وهادا الشي ما بيعملوه غير الميتين. . ما عاد ألي نفس أطلع بالمرآة، وما عاد بدي أكتب مشان ما اشوف إيدي، وما عاد بدي أعمل شي غير أني أرفع راسي لفوق لفوق وأطلع بالسما مشان ما اشوف حالي. ❖ هيك رح تشوف حالك منيح.

مرمر 1998.9.22

في شي كبير كثير.. مثل حمار عم يمشي بشارع ضيق، وهلاً
أنا حاسيس أنو لازم أعمل شي، يعني مثل أنو أكرهك، بس ما عم أقدر
أعمل شي، وأنت مفكرة حالك قوية وبتعريف شو بدك، وأنا ما بيموتني
غير اللي بيعرفوا شو بدهم.. شو بدك؟! كنت مفكر حالي عم ألعب،
وبعدين صرت راکض ورا شي ما بعرفه، وكمان عم افكر - مع أني ما
بطيقك وأنت وعم بتفكري - عم افكر أرفس كل شي، يعني نحنا
كم مرة بنعيش؟!..

وبتعريف ليش بنعيش؟!..

مشان نكسر حالنا.. لأنو ما بيصير نكسر الناس اللي حوالينا..

أنا ما ألي بلد ومالي أخ.. يعني وحيد.. اللي ما أله حدا..

وأنا ما ألي غير روعي اللي بتعلقني بشخص مع أني بحسه دايماً

أنو مو ألي، وهو من قد مو حمار كمان بيحس حاله مو لألي..

عم أتطلع على بنت هون وعم تتطلع في

عم افكر أديشها سخيفة وأديشني سخيف

ليش مين في غيرك أقدر اطلع فيه طول عمري بدون ما أشبع،

وأنت

أنت خايفة أنو أشبع..

لاتيرنا 1998.9.21

ربما لأنك تشبهين فتى أزعر
يقف مستنداً إلى جدار
ويدخن بوقاحة
أتركك وأتذكر
كيف كنتُ فتى أزعر
يقف مستنداً إلى جدار
ويدخن بوقاحة
ولكن.. منذ زمن بعيد

الرواق 19.9.1998

أفكر
لو أن الشتاء يأتي بسرعة
لضممتك إلي ومشينا
تحت خيوط المطر
وفي الشتاء
أفكر
لو أن الصيف يأتي بسرعة
كي نمشي معاً في ليلة مقمرة
وأعانقك

الرواق 19.9.1998

لا يوجد أي مكان
يليق بما سأقوله لكِ
غيرنا أمكنة كثيرة
ولكني لم أستطع أن أفعل شيئاً
ولم تستطع يدي الراجعة أن تلمسكِ

الرواق 19.9.1998

تحت سماء غربية
ذلك المساء
وكان الدم في عروقي يؤلمني
فكرتُ أن أمسك يدكِ
ولم أفعل
ثم وعدتكِ في اليوم التالي
ولم آتِ
لأنني .. ببساطة.. أحببتك..

الرواق 19.9.1998

- بس إنت بتشوفيني كئيب، ويمكن أنا هيك.. معك.

ليش لما بقعد مع غيرك بصير بحكي شي بيضحك وبسب ع
ناس كتير وبحكي بالمسرح والشعر والسينما ، بس معك بحس أنو ما
عم أقدر أحكي عن كل هـ الأشياء ، بحسّ حالي قاعد مع حالي
وساعتها إذا حكيت بحكي عن شي كئيب ، وإذا ما حكيت بتقري
على وجهي الحزن والكآبة ، أنا هيك بكون مع حالي ، وأنت ما بحسّك
غير حالي.

بتعري؟ وقت اللي بكون قاعد مع الناس وعم أضحك
وأحكي و فجأة بتدخلني أنت.. بكتتب.. بحس أنو في حدا بيعرفني
منيح.. بيعرف حقيقتي ، مشان هيك بكتتب.. بخاف أطلع قدامه كذاب.
❖ وأنا شو ذنبي؟..

ليش لآكون حالك؟..

أنا بدي اكون معك أنا.. مو أنت.. بدي أضحك وألعب وأتسلى ،
بدي احسّ أني مبسوطه.

- بس أنت مو هيك؟..

❖ أنا هيك ، ليش مفكر حالك بتعرفني أكثر مني ، أنا بدي
واحد بيشبه أول سطح فيني.. أول خط فيني.. أول درجة.. مو أنت.. أنت...
صرت جوّه.. تحت.. قاعد على آخر درجة وما في قوة بتقدر تطالعك لأنك
بتشبهها.. بتشبه أعمق شي جواتي.. ما عرفته إلا وقت اللي عرفتك ، وأنا -
واسمح لي اقلّك - حبيبي.. ما بدي ، بدي واحد بيشبه أول خط فيني وأول

درجة.. وما رح أزعل إذا قلت عنه تافه، لأنني أنا هيك .. أنا ما بدّي اعيش
غير بالسطح اللي عندي.. ما بدّي أغطس لجوّه.. بدّي اضل فايشه.

- هيك بدك؟!..

❖ بصراحة؟

- إي بصراحة

❖

- ليش عم تبكي؟!..

❖ .. ما في شي.. عم أبكي لأنني هيك بدّي.. وبصراحة.

مرمر 1998.9.22

أكتبُ شيئاً ما
عن امرأة قابلتها البارحة
أكتبُ وقد فرحتُ لأنني نسيتك
أكتبُ وأنا أتجاهلُ
أن هذا القلم اللعين
لن يكتب عن سواك

مرمز 1998.10.11

أنتظركِ
في ذات المكان
ربما تأتيين
أجلسُ وظهري للباب
كي ألتفتَ كلما دخل أحدهم
أجلس هكذا عمداً
كي أكرهكِ لحظة
وأنا أحس بأن رقبتني بدأت تؤلني بسبيكِ

مرمز 1998.10.10

إنني نادماً
دائماً
كل يوم
كلما تذكرتُ البارحة

مرمز 1998.10.11

❖ المشكلة أنني ما بدى أحكي، لأنني بحس أنو كلامي طالع من شخص غلط وبيقول أفكار غلط، ومشان هيك أنت مرتاح أكثر مني لأنك بتعرف تحكي، بتعرف تقول الشي اللي جواتك وبتقله للي قدامك كأنك عايش بقلبه، ومع هيك رح أحكي لك شي ما كنت عم أعرف ا قوله من قبل بس هلاً صرت متأكدة أنني رح أعرف ا قوله.

أنت ما بدك اياي اكون تافهة، بدك اياي اكون ظريفة ومنيحة وبفهم، ببساطة بدك اياي اكون متلك.. وأنت أكبر مني بخمسة عشر سنة، وأنت عجبتني كثير.. مو بس عجبتني.. لأ.. حبيتك كثير.. مو هيك كمان.. بحبك كثير.. بموت فيك.. وبعرف أنك بتحبني وبتموت فيني.. وبعرف ليش.. لأنك بتشوف حالك فيني وقت اللي كنت قدي، مو لها السبب حبيتني.. لأ.. بسبب الحب صرت تشوفني هيك، وأنا رح اقلك أنني أنا كمان بشوف حالي ومستقبلي فيك، بحس حالي أنني بعد خمسة عشر سنة رح أكون متلك، بس إذا ضليت عم اشوفك رح اصير متلك من هلاً، يعني بدك تضيع خمسة عشر سنة من عمري.. ما بدى اشوفك.

- لا تجني.

❖ أنت لا تجنّ، شو كنت قبل خمسة عشر سنة، شو عملت بهديك الفترة، سافرت ورجعت وسافرت، ورجعت، حبيت وفشلت وعملت مية قصة وقصة، عشت حياتك بالطول والعرض، نمت مع بنات كثير وحبيت بنات كثير وتجاوزت وطلعت ورجعت تجاوزت وصار عندك

اولاد ، وسهرت وسكرت وضحكت ولعبت وحزنت وتعذبت وتأللت
ودرست وبطلت ورجعت درست ورجعت بطلت واشتغلت وكتبت ، عملت
كل شي خطر على بالك.

وهالاً.. كبرت شوي.. صار عمرك ثلاثة وتلاتين سنة ، هديت
وصرت تحب بعمق.. بعمق كثير.. بدون طيش.. بدون تهور.. وصرت
إنساني وشفاف وبتأخذ العقل.. عرفت بقى شو بدى؟!
.. شو؟!

❖ بدى اعيش..

ما بدى اصير متلك من هالاً

بدى اجنّ

بدى احبّ بدى أعشق ، بدى أنجح ، بدى أفضل ، بدى احبّ واحد
كلب واطي ما يحبني ، بدى احبّ واحد شفاف ورومانسي.. بدى أكتب
رسائل.. وأسهر بالليل وأبكي ، بدى أهرب مع شاب يومين تلاته ، بدى
أضحك وألعب ، بدى أوصل على التلاته والتلاتين من عمري لحالي.. بعد
ما اكون عملت كل شي لحالي.. بعد ما اكون عشت.

.... -

❖ لا تبكي.

مرمر 1998.9.22

بين خيوط المطر
وأمام الرياح الباردة
سأظل أتذكر
وبندم لا يوصف
أنك خرجت من المنزل
بثياب خفيفة جداً

لاتيرنا 1998.10.12

كل من يدخل الآن
شاب وفتاة
بملاح غير مُحبة
ومشاعر ميتة
ربما لهذا
لم ندخل إلى مكانٍ .. معاً..

لاتيرنا 1998.10.12

أحبك
ولكن لا أستطيع أن أراك
أحبك
ولكنني لا أريد أن تزعل أُمي
أنت تعرف.. إنها أُمي
أحبك.. أحبك
ولكن أرجوك لا تكلمني هاتفياً

لاتيرنا 1998.10.12

❖ مين هي اللي سلّمت؟
 - وحدة بعرفها من زمان.. من زمان كثير..
 ❖ شكها ش...
 - ما كانت هيك.. بسببي صارت هيك
 ❖ أنت؟.. مستحيل
 أنت ملاك
 - أنا ملاك؟! مين حطّ براسك هالحكي..
 .. مين حطّ ببالك أني منيح؟!
 ❖ لا تلف وتدور، أنت منيح، أنت أحسن واحد بشوفه بحياتي،
 أنت كثير نضيف، ومشان هيك ما بدي اياك، ما بدي اشوفك.
 - رجعنا على هالقصة؟..
 أنا تاريخ حياتي رزالة وبهدلة ، مين قالك أني منيح؟! رح انادي
 لها تقعد معنا.. معليش؟!
 ❖ مع... معليش
 - تغير لونك
 ❖ لأ.. عم اقلّك معليش.

لاتيرنا 1998.10.2

كل الطيور التي أحببتُها
هُوتْ
وكان صوت ارتطامها بالأرض يقتلني
إلهي.. لا تجعلني طيراً
لا تجعلني من يعلو عن الأرض
وهو يعرف بأنه يوماً ما.. سيقعُ

مرمز 1998.10.14

. كيفك؟!

❖ منيحة.. أنت كيفك؟

. منيح.. بعرفك على رفيقتي الجديدة

❖ دائماً عندك رفيقة جديدة، بحياتي ما شفت معك وحدة

طوّلت كم شهر

. هاها..

❖ بتعرفي أنني كنت ملاك، كنت بنت صغيرة وبريئة، وتعرفت

على هاد الشخص اللي قاعد معنا، هاد الشيطان، حبيته.. وبعدين

تركني.. فجأة وبدون أي سبب، زعلت.. تأثرت، وتحولت لوحدة تانية

بسببه، وحدة مثل مالك شايفتيني هلاً.

. هادا؟!

❖ إي هاد.. ليش مستغربة؟!

باي..

. باي..

شفت؟!

يمكن ما في أحقر مني بالعالم.. بكره حالي.

❖ يا ريت أقدر أكرهك، إذا كان في مشكلة عندي فهي أنني

شايفة أكثر شي حلو فيك وأكثر شي نضيف، بس مو هون المشكلة،

المشكلة أنني متأكدة أنو أنت بس هيك، أكثر شي حلو وأكثر شي

نضيف.. وأكثر شي لازم ابعّد عنّه.

لاتيرنا 1998.10.2

كي أشتاق إليك
ابتعدُ أرجوك
أطول وقت ممكن
كي أشتاق أكثر
ابتعدُ إلى الأبد
ولكن أرجوك أن تموت قريباً مني
كي أراك وأنت مسجى
وأحسّ بأنني.. طيلة عمري
كنت مجرد شخص يشتاقي إليك

مرمز 1998.10.15

إننا نحبك
فأنتَ ابنا الوحيد
طبعاً نحبك
ولكننا لا نملك النقود
كي نرسلها إليك
إننا نحبك أكثر من أي شيء على الأرض
أرسل لنا بعض النقود
نحن لسنا بحاجة طبعاً
ولكن فقط لنتأكد بأنك أيضاً تبادلنا الحب

مرمز 1998.10.15

هناك خمسة سطور تبقّت
على هذه الورقة
أفكر بقصيدة من هذا القياس
خمس سطور كاملة
ضيعتها وأنا أفكر بمَ سأكتب

مرمّر 1998.10.15

كنت بحاجة لأسألكُ عن هاد الشي اللي كثير بيشبهكُ
وبعد ما رحْتُ وتركتني وحدي.. شفنتُه
كثير بيشبهك.. روحه مثل روحك
مشان هيك حسيته ميّت متلك
وخفت أني اضلّ عم احبّه وبعدين ما اشوفه قدامي
كثير هلاً بحاجة لألكُ وبحاجة لأله
بحاجة لأله لأنو بيشبهكُ
وبحاجة لألكُ مشان تخلصني منه

لاتيرنا 1998.10.9

في تلك الأروقة
دائماً
كان بيني وبينك نقطة بيضاء أيها الليل
تعال
دون مصابيحك
دون شمع
تعال أيها الليل
بكل سوادك
دون بصيص أمل

مرمز 1998.10.10

ليكن أن ما كان بيننا
مجرد هوى
ولكن..
أما كان يستحق منك
ولو لحظة تذكّر
ولو إرتعاشة ارتباك عند اللقاء بي

مرمر 1988.10.25

في بارٍ لا يشبه أيامنا
التقينا.. وتحدثنا كثيراً
بحماس.. كما لو أننا نلتقي لأول مرة
في ذات البار
بعد زمنٍ
التقينا
لم نحيّ بعضنا البعض
ولم نتبادل النظرات أو نتحدث
كما لو أننا نلتقي لأول مرة

مرمز 1998.10.30

كل ما بيرنّ التلفون
بقول: هادا أنتِ
برفع السماعه، طبعاً مو أنتِ
رح كسرّ هالتلفون
أساساً.. شو شغلته
إذا ما كان صوتكُ هوّ اللي عم يصلني منه

لاتيرنا 1998.11.3

كَلَمَا بِيرِن التَلِيفُون
بِقُول: هَادَا أَنْت.. رَحْ أَسْمَعْ صَوْتَكْ
بِرْفَعِ السَّمَاعَةَ.. طَبْعاً مُو أَنْتْ
بِرْتَا حِ كَتِيرُوبِقُولْ لِحَالِي:
كَمَانْ هَا الْمَخَابِرَةُ مَرَقَتْ عَلَى خَيْرِ

لاتيرنا 1998.11.3

على كل الأحجار
سأرى حروف اسمك
وعلى كل الوجوه
سأرى ملامحك
بعدك
سأحب الجدران والأشجار وإشارات المرور
بعدك
سأحب أي شيء
لا يخفقُ له قلبٌ
وساعة يشاءُ
يتوقف عن الخفقانُ

مرمز 1998.11.25

إلى عبد المنعم عمايري

تحت شجرة الورد
سأدمي أصابعي
وأنا أقطف الورد لك
تحت شجرة الورد
سألمُّ باقة كبيرة
وأرميها أمام باب بيتك.. الخالي

مرمز 1.3.1999

هذا الشتاء
بلا مطر
أو ثلوج
مجرد شمس باردة
وصقيع في الليل
هذا الشتاء
أيضا.. دونك

مرمز 1.3.1999

دائماً هناك من يقتلني
ودائماً للأسف
لا يكون أنتِ

مرمر 1999.12.13

سأبقى كعادتي
أكتبُ القصائدِ عنكِ
وسوف تسرني آهات إعجاب الآخرين
سأبقى كعادتي
رغم أنني أعرف
أنك لا تذكرين حرفاً واحداً منها

ممر 1998.12.12

كانت جنبكُ، وكنت أنا بجنب واحد تاني، كنت معانقها
والظاهر أنك كثير كنت عم تحبها..
ما حكيت معك شي، بس أنت كل الوقت كنت عم تبهدل
اللي قاعد جنبي، وأنا كنت عم ارد عليك، وكنت تقبل لي (لا تدافعي
عنه)

ليش أنا كنت عم ادافع عنه؟!
يا مجنون أنا كنت عم ادافع عن حالي..
وغير هيك.. كنت عم ادافع عنك..

مرمر 1998.11.1

كنت عم اتطلع عليك وأنت عم تلعب بشعرها ، كلهم حسوا
أني متضايقة من عداك ، كلهم كانوا عم ييفكروا أديش بتحبها.. ألاً
أنا.. كنت بعرف منيح أنك بتحبنى.. أنا..

مرمر 1998.11.1

كلهم بيقولوا (أنك بتحبني بس أنا ما بحبك)، وأنا ماني
مضطرة أشرح لهم، أغبياء..
بيكفيني أنك وحدك بتعرف أديش بحبك.

مرمر 1998.11.5

بِحَبِّكَ

مَرْمَر 1998.11.5

كنا دائماً ثلاثة
أنتِ والحب وأنا
بين جدرانِ رطبة
وتحت سقوفٍ واطئة
وكنا دائماً نهمس
خوفاً من الذين في الخارج
كانت القبلة ممزوجة بالخوف والأسى
وكان العناق راجفاً
دائماً كنا ثلاثة
تحت سقوفٍ واطئة
وبين جدرانِ رطبة
أنتِ والكراهية وأنا

لاتيرنا 1998.11.6

وحيثما تمضين
سأكون خلفك
حارسك
بقية الحب التي تحمي نقاط ضعفك

لاتيرنا 1998.11.6

في كل مكان
وخلف كل الستائر
ستجديني
تمثالاً من الألم والخيبة
حجراً حزيناً من كثرة الإهمال

لاتيرنا 1998.11.6

ما فيني أطلع معك لحائنا
خلي حدا يطلع معنا..
أي حدا

لاتيرنا 1998.11.5

❖ كيف شايفه؟!.. حلو؟!

- حلو كتير

❖ وطي صوتك.

وبرأيك رح يكون منيح معي؟

- أحسن مني

❖ بدني أطلب منك طلب

- اطلبني

❖ رح تعمل لي هالشي؟!

- طبعاً

❖ ما كنت شاكة أبداً.. عرفت شو بدني؟

- عرفت .. بس تروحوا أنت ورفيقتك رح أحكي معه.. رح اقله

يضل..

بتحبييه؟!

- معجبة فيه.. عاجبني.. وهو كمان معجب فيني.. هيت سمعت

- هالأرح احاكيه

❖ بسرعة الله يخليك.. بس لا تقل له أني طلبت منك هالشي..

- ما رح اقول

لاتيرنا 1998.11.8

على هذا الكرسي
كانت تجلسُ
أيها الشاب الذي يراقبني باستغراب
على هذا الكرسي كانت.
وكنتُ أعانقها وأمرُّ بيدي على شعرها
وأحياناً أقبّلها
أيها الشاب المندهش
على هذا الكرسي
الذي تجلسُ عليه الآن
دون أن تتناكبَ أية مشاعر

مرمز 1998.11.11

التفتي نحوي بارتباك
دونما تحية
تجاهليني إذا شئت
مري بجانب هادئة
كأنك لا تتبهن لوجودي
ولكن لا تصافحيني كما تصافحين أي غريب

ممر 1998.11.13

ابتعد عني يا داء الشفقة
كلما رأيتُ من أثقلت الحياة عليه
ومن أكلت من روحه بهائم الأرض
ابتعد عني يا داء الشفقة
ولا تُدخل الحزن إلى قلبي
دعني حراً منك
والآن
أمام المرأة
أرجوك
ابتعد عني يا داء الشفقة اللعين

مرمز 1.1.1999

- بتحبها؟!..

❖ معجب فيها

- شو بدك تعمل؟

❖ ولا شي

- ليش؟!..

❖ لأنك رفيقي وبحبك.. ما بحب أخسرك

- ما رح تخسرنني.. ليش حبيتها؟!..

❖ من حكيك عنها.. أنا ما بعرفها.. أنت كنت تحكي لي عنها

كل يوم

- وايمتى تعرفت عليها؟

❖ من كام يوم.. وقلت لها أني بعرفها منيح.. قام عرفت أني

رفيقك كثير

- بس أنت بتحبها؟

- لأ.. معجب فيها.. بعدين حتى لو كنت بحبها.. أنت السبب..

أنت خليتني احبها

- ليكها أجت.. اعتبر الموضوع صدفة

❖ صدفة؟! ليش بدك تخرجني.. أنا رايح

- اقعد.. لازم تقعد

❖ بدي اروح

- مسا الخير

❖ مسا الخير.. اقعدوا.

مرمر 1998.11.13

كل حياتي قصائد مكتوبة بسرعة
لذلك فإنني أشطبها دائماً
فيما بعد

لاتيرنا 1998.11.25

ها هي معك الآن
وأنت تخاف أن أكرهك
ولكن كيف؟!..
لقد فزت بالراحة
وأورثتك الألم

لاتيرنا 1998.11.25

عم تهربي مني
ليش أنا ما عم أهرب منك
مفكرة إذا كنت عم اتلفن لك كل يوم، وكل يوم عم اقلك
بدي اشوفك وانت عم تتهربي بكون ما عم اهرب منك أنا كمان؟!
بعرف منيح أنك بتحبيني كثير مع أنك قلت لي ما بطيقك،
ومرة سكرت التليفون بوجهي، بس فكرك إذا شفتك شو رح يصير؟
رح احس أنني عم أهرب منك مثل ما عم تهربي مني، شي طبيعي
الناس تهرب من شي كثير كثير مو طبيعي.

ممر 1998.11.7

لا تمضِ بسرعة يا صديقي
ولا تخفِ إن زلَّ لسانكَ
بكلمة حب عنها
لا تمضِ أبداً
فأنا أحبك كثيراً
وأنت تتحدث بلهفة عن مزاياها
التي نسيته بأنني حدثتك مراراً عنها

مرمز 1998.11.26

كلهم عم بيلوموني.. وأنتِ كمان، لأنني بحب لآخر نَفْس
وبكره لآخر نَفْس قال هادا هو الإنتحار، ليش كيف بتكون الحياة
إذا ما عشناها لآخر نَفْس؟

قال عم يزعلوا علي.. ليش أنا موزعلان عليهم، صحيح رح اموت
قبلهم بعشرين سنة، بس رح اكون عشت، وهنين بس يموتوا رح يحسوا
أنو العشرين سنة زيادة اللي عاشوها كانت زبالة العمر، وأنو العمر اللي
قبله ضيعوه وهنين عم بيفكروا فيه.

مرمر 1998.11.27

قبل شهور عدة
كنت تدخلين
تحيينه وتطلبين منه أن يبحث عني
والآن
تدخلين إلى ذات المكان
تحييني
وتطلبين مني البحث عنه
ولكن .. بسرعة

مرمر 1998.11.25

أيها الصديق الذي كنت أحكي له
عن التي أحب
وكان يبكي مراراً وهو يستمع
أيها الصديق الذي كان يرفع معي كأس من أحب
وكنت أحدثه وفي صدري ألم لا يطاق
أيها الصديق الذي بعد كل هذا
أحبّ من كنتُ أحب
أيها الصديق الذي يأتي اليوم
ويحدثني عنها
وفي صدره ألم لا يطاق

مرمّر 1998.11.25

محتاج لألك، لإيدك وهي و مو سائلة عن مخك، إيدك وهي و
عم تتمد لشعري غصباً عنك، وتمك الراكض على شفافي غصباً عن
أمك .

مرمر 1998.11.4

ما رح أزعل إذا حببتي غيري، بس لازم تعريف في أنو رح اخاف
عليك، رح اخاف أنو ما يحبك قد ما أنا يحبك

مرمر 1998.11.24

تحت سقف واطئ
كنا ثلاثة
أنت وهو .. وأنا
كان يتمسك بي أن أبقى
وكنتُ أعرف أنك تريدني مني المضي
كنتُ أعرف بأنك تحبينه
وكان يعرف بأن حبي لك
أرسخ من صخور عاشت مئات السنين
نظر إلي وقال: بأنه لا يحبك
ولا يريدك
كنت تبكين
وكنت أتفتتُ
مثل صخور تتن تحت المطارق
منذ مئات السنين

ممر 1998.11.22

ربما أكسركَ يا زجاج المقاهي
وأكسر ما يمر خلفكَ من بشرٍ وسيارات
ربما أُدخلُ ساعدي وأدميه
كي يحظى بلحظة حرية في هواء الشارع
وفي آخر الليل
خلف نافذة منزلي الموحش
أحنّ إليك
أحنّ بشدة
يا زجاج المقاهي اللعين

مرمز 1998.11.26

هؤلاء الذين
يجلسون في المقاهي وحيدين
فيرضون
ثم يحومون ليلاً في البارات
وهم يبحثون عن نديم
ولا يجدون
فيعودون إلى منازلهم وحيدين
وينامون على أسرة لم تعرف أحداً غيرهم
منذ زمن بعيد

مرمز 1999.1.29

أحبك
وتحبين خصمي
أصافحه
فيضفطُ على كفي منتصراً
أصافحه
أنا الفريق الخاسرُ
وعلى وجهي ابتسامه
تنتصر على ابتسامته

مرمز 1999.2.11

وعندما أكون وحيداً
بلا صديق
أو امرأة
أشعر بحزن عينيّ
ولكنني أبقى راضياً
لأن كل من يراني
يعتقد بأنني أريد أن أبقى وحيداً
هذه الليلة

مرمز 1999.2.13

لم يكن هناك من يشبهك
سوى أعماقي المحطمة
ولم يكن هناك ما يوازي ملامح وجهك
سوى قصائدي المكتوبة بسرعة
لذلك لم أحزن عندما أحبتك أنت
لأنني أريد أن أعتقد
أنها أحبتك.. لأجل ذلك

مرمز 1998.11.24

رجل أعزل

فِي هَذَا الضَّجِيجِ
مَنْ أَنْتَ كِي تَرْمِي السَّلَامَ
مَنْ أَنْتَ كِي تَعَانِقُ رُوحِي الْخَائِبَةَ
فِي هَذَا الزَّحَامِ

أَعِدْ لِي صَخْبَ الْمَاضِي
وَلَا تَعْنِي
لَا تَسَاعِدْ عِظَامِي الْمَكْسُورَةَ
وَلَا تَتَفَخَّ فِي ذَبُولِ رُوحِي
مَنْ أَنْتَ كِي تَدَافِعُ عَنِ وِجُودِي
دَعْنِي أَلْمَسُ وَحِشَّةَ الْمَشْهَدِ أَمَامِي
مَنْ أَنْتَ كِي تَمْسَحُ بِكَأْيِي
وَكُفُّ مَنْ هَذِهِ الَّتِي تَرِبْتُ عَلَى كَتْفِي
أَيُّ ضَجْرٍ هَذَا وَأَنَا أَرْمَمُ ثَقُوبَهُ
وَأَيُّ خَرَابٍ أَحْيَلُهُ إِلَى مَدِينَةِ وَنَاسٍ
كَمْ أَنَا غَرِيبٌ فَوْقَ هَذِهِ الْأَنْقَاضِ
خُذْ غِبْطَةَ الْأَيَّامِ
خُذْ بِسْمَاتِ الْأَصَابِعِ
وَمَصَافِحَاتِ الْمَوَدَّةِ

خذ عني ماء السعادة الأولى
وضحكات الطفل الذي كنت
والحروف الأولى.. والحليب الأول
وامنحني ضجيج المصافحة الحقة
وضغط الكف على الكف
وقبله المودة والعناق
خذ قلق الصبا
ورحلة الألق في هذا العمر الضيق
لحظات الفرح وضجيج الأيام
وامنحني لحظة الحقيقة التي يخالطها الألم
وتودي بي إلى السكينة البيضاء
سكون النفس تحت تراب الخلود
كم أنا رماد فوق هذه الأنقاض

رواق 1997.3.1

دائماً كنتُ ألهُتُ خلفك

ثم أستحوذ عليك

ثم كنتُ أضيعكُ

وكنتُ جميلاً دائماً

ولكنكُ كنتُ أجمل

كلما كنتُ أضيعكُ

أيها الحب

الرواق 1996.12.30

في مطعم بأس
أنا وصديقي الشاعر ييائس
طلبتُ كأس ماء من النادل
فأتى وقال: وهذا كأس ماء من أجل الحرية، ثم جاء آخر وقال:
من أجل عيون الحرية اطلب ما تشاء.
وحدثني نادل عجوز بأسى: إننا هنا جميعاً نحب الحرية.
خرجنا أنا وصديقي الشاعر المذهول
والمعبأ بأمل وبحلم رومانسي
خرجنا وأنا أفكر
أن كل العاملين في هذا المطعم وبالصدفة
يشجعون فريق الحرية لكرة القدم

لاتيرنا 1998.10.21

إنه يوم آخر يمضي
في غمرة الكراهية
ستمضي كل الأيام
وسيمضي يوم الحب أيضاً
وسأبقى أتذكر
أن علم الحب الذي غرسته على صدرك
حرَّكتُه رياحُ سواي

الرواق 1998.2.14

ليس هناك ما يشفي الغليل
الحجر رخو تحت قدمي.. وحدي
وأنت قلقة
ربما مني وليس عليّ
أعود وفمي يدندن بأغنية تحبينها
وأعرف أنك ستسألين وتغضبين لغيابي
وأعلم أيضاً
أن الحقيقة ليست سوى عذراً باهتاً .. دائماً

الرواق 1996.2.23

إلى رامي ملوحي

صديقنا الجلف وأنت
نحدثك عن روسيا والعالم
وصديقنا مشغول مع أناس تافهين
صديقنا السوقي
فنهكي معك عن بوشكين ورامبو وبولفاكوف بينما ينغمس
بملذاته وهو يستمع إلى جورج وسوف
صديقنا البليد
فنراقصك
ونتحدى بك الراقصين الآخرين
صديقنا الذي نحب
ونكافح من أجل أن تظلي كما أنت
تحبينه.. وهو جلف وسوقي وبليد

1999.5.30

ليتكِ كنتِ بجانبني الآن
مثل المخدة واللحاف
والسلم الغبي المفضي إلى لا شيء
والباب الذي أوصدته بعناية
والسرير.. والسرير الآخر
في هذا القطار

ليتكِ كنتِ بجانبني الآن
في غرفة منامة في قطار
يعدو سعيداً في بلاد متخلفة جداً

قطار حلب - دمشق 1999.3.22

كنا نتحاسب بشدة
على ثمن الفاتورة في المطعم آخر الليل..
دون أن نأكل اللحم
أنا وأصدقائي في حلب
وكنتم أتضايق
لأنهم يطلبون مني خمس ليرات إضافية
والآن.. آتي إليهم من دمشق
نسهر.. نشرب العرق
ونأكل اللحم على غير العادة
يطلبون مني بشدة.. ألا أدفع.. لأنني ضيفهم
فأفرح

ثم يتحاسبون بعد ذلك بشدة
في المطعم.. آخر الليل

قطار حلب - دمشق 1999.3.22

وأنا مرتبك أمامك
مرتبك جداً
كجندي يرتدي لباسه العسكري
للمرة الأولى

دمر 1988

وإنني أمامك الآن
للهمة الأولى
مثل ملاكم أشقر
وقع بين برائن
ملاكم زنجي

1999.4.20

كيف تستطيع أيها الحقير
أن تقف خاشعاً
بجانب امرأة لا تحبها
في كنيسة قديمة
يوم الأحد

دمشق 1999.4.13

لماذا

أقنعت من تحيين

بأنك ما أحببتني يوماً

لماذا علي دائماً

أن أراقب وجهه المذهول

كلما ذكرتُ قصة

فيها .. ولو قليلاً

من الحب .. ما بيننا

مرمر 1999.5.25

إنني مثلك أيها الله
الجميع يحبونك
ويخافونك
ويخشعون عند ذكر اسمك
ولكنهم.. بكل بساطة
يرتكبون بحقك كل الآثام

دمشق 1999.8.13

إلى ابنتي

يصرخ الصغار
خوفاً من الطبيب
يبكون
يقاومون أمهاتهم وهنّ ينزعن عنهم الثياب
وقبل ذلك في غرفة الانتظار
يتبخثرون كجنرالات
وأوسمتهم قلوب ذهب
ومصاحف.. وخرزات زرقاء

في هذا البرد
والمطر يهطل بشدة
أركضُ
ليس هرباً من المطر
وإنما كي أرى خديك الورديين
وأسنانك التي بزغت للتو
وفي غمرة لهائي
أسرقُ نظرة إلى شرفتنا
فأرى قميصك الصغير
على حبل الغسيل
وهو يرتجف من البرد

انتزعتُ أشياء كثيرة
من أيدٍ قوية وبخيلة
انتزعتُ حقوقي
من أفواه متوحشة
وخطفتُ لقمة عيشي
من مغارات الكواسر

انتزعتُ المستحيل
عندما كنت أريد ذلك
ولكنني عبثاً حاولتُ
ولم أستطع.. انتزاعَ لعبتكِ
من كفكِ الصغيرة وأنت نائمة

الرواق 1998.5.10

حصن الكآبة

إلهي.. الضعيف مثلي
الموحش مثلي
إلهي الذي يحبني
كي يجردني من كل شيء
ويأخذ مني كل شيء
ويرمي إلى الآخرين
كل ما هو عزيز علي

إلهي الضعيف مثلي
ويحبني
فلا يترك أمامي
ولا خلفي
ولا يميني
ولا شمالي
ما يسندني
ما يجعل مني
من يسير دون أن يقع

إلهي الذي جعلني
أتخطى الثلاثين
دون ارتباك
ثم بعد ذلك.. أربكني

إلهي الذي أحالني عجوزاً

وروحي نضرة

إلهي الذي

كسّر أسناني

ورمى بطعامي إليّ

إلهي الذي يحبني
فأحالني طيراً بلا جناح
وأحالني طيراً
لا يجيد الغناء

إلهي الذي يظن بأنه أحالني طيراً

إلهي الذي يحبني
الضعيف مثلي
جرعني عندما عطشتُ
كأس المرارة
وقال لي أن أرتوي

إلهي الضعيف مثلي
إلهي الذي يحبني
إلهي الذي ينام بجانبني
ملء جفنيه
وهو يعرف بأنني لا أنام

إلهي الذي يضع طعامي أمامي

فلا آكلُ

فبيكي قليلاً علي

ثم بنفسه يأكل طعامي

إلهي الذي يضع بثقل حبه على كتفي
فأنهار وأسقطُ.. ولا يراني
إلهي الذي
إذا ما شردتُ بغيره لحظة
.. يراني

تطير العصافير من جوف
تطير من حصن الكآبة
إلى سمائها
وتنفض عن أجنحتها
رماد ألواني

إلهي الذي تركتني وحدي
عندما أردتُكَ
وعندما أردتُ أن أبقى لوحدي
وجدتُكَ بين أسناني

أحبك يا إلهي
لأنك تعيش مثلي
وهش مثلي
أحبك
لأنك.. إلهي

إلهي الذي علمني البكاء

على أسرة الوحدة

من في شتاءاته

وتحت أمطاره

سرق ثيابي

وأطفأ ناري

إلهي الضعيف مثلي

الذي عذبتني وآلمني

وحين بردت ما دتّرني

إلهي الذي جعلني أمياً

وما أوحى إليّ

بين يديكَ يا إلهي
بين كفيكَ المعروقتين
أنتشي وأنت تتلمسني
تخرج روحي من بين أصابعك
وتضيع في الهواء
اقتلني يا إلهي
لأنني لا أستطيع الموت
إلا بين يديكَ
اقتلني
كي تعود روحي من الهواء
إلى ربّتيك

وَفِي الشَّامِ يَا سَمِينُكَ
الَّذِي مَا قَطَفْتَهُ لِسَوَاكُ
وَوَرْدَكَ
الَّذِي مَا وَضَعْتَهُ فِي كَأْسِ سَوَاكُ
وَفِي الشَّامِ كُلِّ الَّذِينَ يَحِبُّونَنِي
وَيَصْمَتُونَ
لَأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ
أَنَّ قَلْبِي لَا يَدُقُّ لِسَوَاكُ

إلهي الضعيف مثلي
الذي كان صغيراً مثلي
حَيُّونا معاً
وشرينا الحليب معاً
تعرنا معاً
إلهي الذي أفلح بخطوته الأولى دوني
فأغلق الباب علي وغابُ

إلهي الذي طيلة العمر
كان يبني حصن الكآبة حولي
حجراً حجراً
وعندما أغلقه عليّ تماماً
أراد أن يراني
فلم يرَ سوى الكآبة
فضجر مني وتركني وحدي

من الذي سيأخذ بيدي
من الذي سيعرف مكاني
من الذي سيكسر حصن الكآبة حولي
دون أن يكسرني

دمشق. 1998.8.13

الأب الضال

إلى شاهي وشيرين

الطبعة الأولى - دار الفكرة 2003

أنت وهؤلاء الناس

إذا تعب الشعراء قالوا:

تعبتُ يا صاحبي

أو

يا أبي ما عادت بي طاقة للعيش

أو

لم أقدر على الدنيا يا أمي

أو

يا أخي يأسى أكبر من رغبتى بالحياة

إذا تعب الشعراء..

أما أنا.. فتعبتُ

وما عادت بي طاقة للعيش

ولم أقدر على الدنيا

ويأسى أكبر من رغبتى بالحياة

ولكن دون أية كلمة تستطيع أن تسند هذه الجمل

المرهقة

دمشق 1999.8.6

وما حمل ساعةً في معصمه
وما علّق في عنقه زرداً
وما نقش على جسده وشماً
ولكنه مشى في الشوارع المزدحمة
كعلامة فارقة

لم أخطئ
لم تخطئي
ولم يخطئ أحد
ولكن
على أحد ما في هذا العالم
أن يبدي لنا الأسف

دمشق 2001.5.19

عندما لم تلتمعُ العيون
ولم تهتز الشفاه
عندما لم يدق القلب بعنف
ولم ترتبك الكف وهي تلمس الكف
عندما دخلتِ إلى منزلي
ولم أفكر بإغلاق الباب خلفك
أيقنت أن كل شيء قد انتهى الآن

دمشق 2001.4.16

وأنتَ معي
لست أكثر من شخص يحبني
أحبكُ
وأنتَ تغفو على صدر غيري
أحنو عليك وأنتَ بين ساعدي سواي
أغفو في أعماقكُ
وعندما تمد شفتيك لفم غريب
أظهرُ
فيحمرُّ وجهكُ
وترتعد شفثاكُ
وتعود مجرد شخص يحبني
أحبكُ وأنتَ تحكي قصتك للغرباء
وأحميك عندما تعبر الشوارع
من اللصوص والسيارات
ومن الكف التي تمسكُ كفكُ

دمشق 1994.4.30

هذا أنا
في المقهى
جالساً على هذا الكرسي وذاك
هذا أنا
أشرب القهوة هنا
وهنا أرتشف العصير
وهناك
أعبر بخفة خلف الزجاج

دمشق 1999.8.5

إلى ناصر نغساني

لا تأخذنا هكذا

امنحنا فرصة أخيرة

كي نحقق وعودنا التي رميناها جزافاً للزوجات

كي نعود إلى المنزل

محملين بالخضار والحليب

امنحنا فرصة أخيرة

لدفع الإيجار

فرصة أخيرة

كي نقنع أطفالنا

أننا ذاهبون

دونما عودة

الرواق ٩.٩.٩.٩.٩

أنت وهؤلاء الناس
من بيده يأخذ بيدك
ومن بيده يكسر يدك
من تبكي على كتفه
ومن تبصق على وجهه
وأنت وهؤلاء الناس

من يشدك بقوة إليه
ومن يطردك ببرود من حياته
من يرمي بثقل آلامه عليك
ومن يعانقك
وأنت وهؤلاء الناس

من يقبلك
وهو في قرارته يشتمك
ومن يخمشك ويشد شعرك ويصفعك
وهو في قرارته يقبلك ويعانقك
من يكسرك

وهو في أعماقه
بالعناق يكسرك
وأنت وهؤلاء الناس

دمشق 2000.3.5

منذ أن هربتُ صورتني
من إطار العائلة
وابنتي تعلمت أن تكتب اسمي واسم أمها وأختها واسمها
وعندما كانت تلتفتُ
كنتُ أشطبُ اسمي
فلا تبكي ولا تصرخ
وتعود في زيارتها التالية
وهي تحمل صفحتها البيضاء.. البريئة والمشرقة

دمشق 2002.9.29

في صورة بالأبيض و الأسود
كنت أرتطم بهم
ولا أسمع صراخهم
في صورة بالأبيض و الأسود
شتموني بوقار
وانتقدوا مشيتي
اتفقوا جميعا
الأبيض منهم و الأسود .. عليّ
في صورة بالأبيض و الأسود
كنت أمشي إلى خارج الإطار
بألواني الطبيعية

دمشق 2002.10.3

سأغلق النوافذ جيداً
ولن أفتح الأبواب
سأرتق شقوق الجدران
لأنني أخاف
أن يدخل الهواء الذي تتنفسون منه إلي

أنا التلميذ الذي مثل أدوار الشر
على مسرح المدرسة
ورأيتكم
وعشت معكم
وتعلمت القذارة منكم
وفنون الخسة
أنا التلميذ الذي خرج من شوارعكم
منحطاً وسافلاً
أبحث عن جدران
أختبئ خلفها
وأبوابٍ أقفلها على نفسي
كي أعود مجرد تلميذ يمثل أدوار الشر على مسرح
المدرسة

يقولون عني: وغد وسافل
وهناك من يقول: فتى منطلق كالفراشة

ومضى بي العمر
ولم أعد فتىً منطلقاً كالفراشة
بينما ولأنها صفات لا عمر لها
بقيت وغداً.. وسافلاً

أكتب بالقلم
لا بالأزرار
أقرأ الكتب
لا الشاشات
ما الفائدة من التقدم العلمي
وأصدقائي يموتون
عند أول محاولة مازحة للموت معهم

وقتُ كَافٍ

في عتمة الليالي
أنا الظل الذي سيمشي خلفك
وقد قتلته الظلمة

الذي في بالك
بعد أن يفضى الأصدقاء
وأوهام الحب القادم

خفقات قلبك

أنا الذي لم يعرفك جيداً
لأنه لم يجد الوقت الكافي
سوى لأن يحبك

أنا الشبح الذي ستخافين
أن تصدميه بسيارتك
والقتيل الواقف
بينك وبين حياتك

أنا الذي لم يستطع أن يكتب الشعر عنك
لأنه لم يجد الوقت الكافي

أنا الذي أراد أن يسقط من الشرفة لأجلك
وعدل عن ذلك أيضاً لأجلك
الذي عجز عن العطاء أمامك
لأنه لم يجد الوقت الكافي

تحت أمطار لومك

وزمهير انتقامك

أنا الشخص الذي بلا كبرياء أو لياقة

لأنه لم يجد الوقت الكافي

في أنفاسك

وبين أسرار جسدك

تحت صرخاتك وآهاتك

تعلمت الموت

وكنت تريدني حياً

ولم أجد الوقت الكافي

سيكونون لك جميعاً
أصدقائي وأيامي الباقية
وسأكون وحيداً
دونك ودونهم

وفي نهاية الليل
مع صوت غريان الصباح
أناؤ دون أن أفكر بك
لأنني لم أجد الوقت الكافي

دمشق 2002.7.29

أحد سواي

نفسى.. من أرى فى المرأة
وإذا وقعتُ من طابقٍ عالٍ
لن يخاف علي أحدٌ سواي
وإذا سقطتُ..

فلن يلتقطني.. سواي
وإذا ملتُ ستسندني نفسى
وإذا بكيتُ ستمسحُ نفسى دموعى
ولن يبكي - علي بعد ذلك - سواي

لأننى إذا دخلتُ فى سباقٍ
لن أتمنى أن يسبقني أحدٌ سواي
وإذا خسرتُ أمام نفسى
فلن يربت على كتفى سواي

وإذا سكرتُ
لن يوصلني أحدٌ إلى البيت سواي
ولن ينام بجانبى أحدٌ سواي
ما من أحدٍ أدخل الدفء إلي
سواي

وما من أحد
قال لي كلمة حب واحدة سواي

لأنني إذا متّ
لن يبكي أحد علي سواي
وإذا أردت الموت
فلن يقتلني .. سواي

مرمز 2002.4.12

عود نقاب يحترق

أنا الراقصُ المرتبكُ
الذي نهض من أجلكِ

وفي علبة السردين المصنوعة في المغرب
أنا رأس الفلفل الحار
الذي يرميه كل من يفتح العلبة في المشرق

وفي الباص المزدحم
أنا الراكب الذي يرتجف خوفاً
عندما يصعد المفتش

في علبة الثقاب المبللة
أنا العودُ الجاف

وفي قافلة الجمال العربية
أنا الجمل ذو السنامين
والكنغر الذي بلا كيسٍ في بطنه

أنا اللاعب الذي يخرج بالبطاقة الحمراء
والطالب الممنوع من الدخول إلى الصف

والزوج الذي يطرق الباب

أنا الهُرُّ الواقفُ على المزبلة
بشممٍ وإباءٍ

أنا الشاعر الذي يكرهه الشعراء والعشاق
وفي السر يقرأون قصائده

القبلةُ السريعةُ في المنعطفات
والبوحُ الفظ في الباربات
وفي ساعات القيلولة
وأواخر الليالي
أنا العين التي.. لا تنامُ

أنا الابن الضال
الذي بلا صورة معلقة له في البيت
ولا مفتاحٍ خاصٍ به

الأسود في اسكندنافيا
الأبيض في أفريقيا
والأزرق.. في الصين

أنا الطلقة الرحيمة
التي لا تخرج من المسدس

زجاجة البيرة الفاسدة
ورغيف الخبز المحروق
عود ثقاب تشعله الكف
ويطفئه الهواء

أنا نهر الفرات
عندما يقطع الأتراك عنه الماء

أنا دم الشعراء المرميين على الأرصفة
والطبيب الذي يبكي لأجلهم

وسريرهم النظيف في مشفى قذر

أنا الضرس الذي يخلعه طبيب الأسنان
دون تردد

والطفل الذي تجهضه الأمهات
والكتاب الممنوع

أنا عود الثقاب المحترق
في علبة الثقاب المبللة
التي جفت.. الآن

نادي الصحفيين 2000.9.10

وتركتُكُ

وتركت لك.. نعومة الفراش
وأخذت معي قلقَ نومي
وتركتُ على المائدة
كأس وردكُ
وأخذت قلة طعامي

ومن أمام الباب
أخذت تعب أيامي الواقفة
وتركت طرقاتي الملهوفة
وتركتُ لكُ

وتركت على الطاولة
الشعرَ الصامتَ
كي لا أجرحكُ

وتركتُ
نقاءَ الشعرِ وصفاءه
وأخذتُ فوضى الشاعر
وفقره.. وشرفه..

وتركتُ لكُ
وتركت رقصي النادر
وضحكاتي وضجيج النكات
وأخذت كآبتي وصمتي
وتركتُ لكُ

وتركتُ أصابعي التي عانقتكُ
وأخذتُ أصابعي التي ودَّعتكُ

وتركت فمي الذي قبَّلَكُ
وأخذت فمي الذي شتمَكُ
وتركتُ لكُ

وتركتُ حرارة المدفأة
وأخذت دخانها والرمادُ

وتركتُ الكتب التي تكمل المشهد على الجدار
وأخذت منها رعب الحقيقة
وتركتُ لكُ

وتركتُ لكُ البيت
وأخذت معي وحشة البيت

وتركتُ أغاني الأكراد الجميلة
وأخذت حزنهم والشتاتُ

وتركتُ مني ما قد يسندكُ
فما الذي مني
أخذته معي

وما الذي مني
تركته لكُ

دمشق 2000.3.6

الأب الضال

يلمعُ في الظلام
ويأفل في الضوء
وحيثما كان
ستجدينه محاطاً بالكراهية
وتعبرين

على رصيف
يلمعُ الأحذية
وخلف زجاج المقهى
يقرأ جريدة البارحة

في الزحام
سيرتطم بكتفك
وستأخذين معك
رائحة الخمر
وعينيه المليئتين بالدمع..
وتعبرين

يبيع الجرائد التي تشتريين

والعطر الذي تضعين
ستلمحينه
يتأبط فتاة قبيحة
وبشعره الطويل
ستجدينه يعانق فتاة جميلة
وتعبرين

يشرب القهوة مع الطلبة
ويتحدث في الندوات
وخلف قضبان السجون
ستلمحين ما يظهر من وجهه
وتعبرين

وراء شبابيك الجيران
تحت الجسور يتقي المطر
أو يبيع كتبه القديمة

في المراكز الثقافية
يقرأ الشعر

وفي البارات
يحادث السكارى المتعبين

تحت أسرة الغرباء
وفي خزائن النساء الخائئات
ستلمحينه..
وتعبرين

الكلمة على طرف لسانك
الغصة في حلقك
الفكرة الضائعة في بالك

كوايبسك ..أحلامك
والهالة المحاطة بالكرهية

ترينه في المطاعم
يحاسب عن كل الزبائن
وفي الشارع
يستدين من سائق التاكسي ثمن الطعام

تحت سقوف التوتياء
وفي الصالونات الفخمة
تحت المطر
وبين المتملقين

وتعبرين

تحت رفات شعرك

وبين أنفاسك

في الملاهي والشوارع

في المقابر

في ذكريات المسنين

وأنين الرضع

ودفاتر المراهقين

في كؤوس السكاري

وورود العشاق

وتقارير المخبرين

هُوَ.. هُوَ..

وباصبع ثابتة..

ستشيرين

وبضم ملآن ستقولين:

هذا هو أبي..

دمشق 2001.11.10

السواد

نحن الذين قُتلنا

في كل الحروب

في حرب البسوس

وتأرجحت جثتنا على مشانق الأتراك

في حرب طروادة

كنا خلف الأسوار

جفتُ الدماء في عروقنا

ولم يمضِ المحاصرون

وكنا خارج الأسوار

اهترأت جلودنا

ولم يستسلم المحاصرون

طاردنا أبا جهلٍ

وحظينا برأسه

وقُتلنا على أيدي أعدائه

أنهكتنا الحروب

فتجمدنا في المتاحف
أوقات السلام

نحن الذين قُتلنا
في حرب حزيران
في حرب أكتوبر
وفي حرب تشرين
في حرب الأكراد
وفي حرب الشيشان
بين كوسوفو و الصرب
وبين البوسنة والجسر

نحن الذين قُتلنا
ومُنعتُ أمهاتنا من البكاء علينا.. فزغردنَ
ومُنعنَ من الحداد
فارتدينَ زهور البراري الصاخبة

اقتادونا إلى القتال
وهرب بعضنا إلى بلاد آمنة
فماتوا اختناقاً في الشاحنات
وسحقوا تحت عجلات القطارات

ماتوا مستوحشين تحت ثلوج شمال الأرض

نحنُ الذين قاتلنا أعداءنا
ونحنُ أيضاً أعداؤنا
تعلّمنا الموت مبتسمين
والحياة متجهمين
فبنوا لنا ضريح الجندي المجهول

منّا الذين كانوا مع الوليد
وقتلهم الوليد
ومنّا الذين سامروا الرشيد
في لياليه الصاخبة
وشنقهم لحظة صحوه

ومنّا حرس الثورة
الذين قُتلوا كي تعيش الثورة
لمحنا الجبناء في جنة أسيادهم
ومتنا صامتين
ودُفِنَّا بجانب شعرائنا المذعورين
بشرفٍ هو الصمت

نحن الذين قُتلنا
ومُنعتُ أمهاتنا من البكاء علينا
فزغردن
ومُنعنَ من الحداد

فارتدين زهور البراري الصاخبة
نحن الذين..
عندما يموتُ أحدهم
على سريره
وتحت مياضع أطبائه
دون أن ترى عيناه ساحات المعارك
يجروننا من ضريح الجندي المجهول
يُخرجون الدموع من أعين أمهاتنا الجافة
ويرمون بالسواد عليهن
يُنْهَضوننا من قبورنا
ويسيرُونا حزانى في موكب الشهيد

دمشق 2000

يفوت الأوان

يفوتُ الأوانُ
على ما كنتُ أنتظرُ

تفوتُ نومي الأحلامُ
يفوتُ الأوانُ

فاتني حنانُ مستكٍ
وغنمتُ بالأسى

تطولُ في كفي
مصافحتكِ الأخيرة
وفي عينيَّ
صورتكِ الأخيرة
وفي روعي صدى سعادتكِ الأخيرة

تفوتُ دمعتي كُفكُ
فتسقطُ أرضاً
ولا تفوتُها الأقدامُ
ويفوتُ فمي الكلامُ

تفوتُ العصافير قمحي المنثور
وتفوتين تلويحتي الأخيرة
تفوتُ العصا كفي الراجفة
ويفوتُ قدمي الطريقُ

لا تقتلني بيدك
اقتلني بيدي

يفوت فمي الشرابُ
ومسمعي نكتةً لنديمٍ
وأغنيةً لجليسٍ
تفوتُ قلبي
نظرةُ امرأةٍ غريبةُ

ضعيفاً وهشاً
تفوتُ كفي العصا
فأتكئ على جدارُ
يفوتُ قدمي الطريقُ
ويفوتني في أوقات الضيق.. الصديقُ

الملاك الغاضب

لا تعبرُ من أمام البيت
وإذا عبرتَ
فلا تلتفتُ
لأنك لا تعرف
أن في البيت
من يشتاق إليكُ

لا تطرق الباب
وإن لمحتني
لا تعانقني
لأنك لا تعرف
أن في هذا الجسد
من يشتاق إليك

اقتلني
وصفرّ بفمك
كأنك لم تفعل
ولا تَسَلْ عني
ومزق صورتي في عينيكُ

لا تبحث عني في الشوارع
أو البارات
ولا تأخذ بكلام الناس
اعرفني وحدك
فتقتلني وحدك
وتبقى روحي في جثتي تشتاقُ إليك

دمشق 2002.7.13

تحت غيمةٍ معاً

هل سنكونُ معاً
في الخريف
فوق أوراق صفراء
تتُن تحت أقدامنا
هل سيحركُ الهواءُ شعرنا معاً
هل ستبردين
فأعطيكِ سترتي

جاء الخريف
والأوراق الصفراء تتُنُّ تحت قدميَّ
وأوراقُ أخرى تتُنُّ وهي تسألني عنكِ

هل سنكون معاً
تحت غيمة سوداء
تسقط أمطار الشتاء
وتبلل الأرصفة والسيارات والمارة
وأنا دونك ودون مظلةٍ
لا أتبلل تحت أمطار الشتاء

إذا جئتكَ لاهتأً
فلا تفتحي يديك لعناقي
وإذا عانقتني
فلا تتركي رأسي يسقط على صدرك
امنحيني لذة المتأخر على حبك
لذة الأصابع وهي تتألم بين الأسنان

لا أعتز بمسرحي
إنما بضحكك
لا أعتز بقصائدي
إنما.. بدموعك

بعدي

كانت الشمس لاهبةً
ولكن الصباح لم يكن مشرقاً

أشتاقُ للخطأ
كي تؤنّبيني
أنا الحنينُ إليك
والعواء الحزين

أنا الذئب العجوز
في بيته الخالي من العظام

هنا عاش
في هذه الرقعة التي تسمى جسده
لماذا لم تحرقوا الجثة
ما الفائدة من هذا القبر
إذا لم تسقط دموعك الساخنة عليه

بحثُ
ولم أجدك
من ذات الطرقات
مررتِ
وكانت آثار خطواتي
تتألم تحت قدميكِ

دمشق 2003

شخص الممالك الزائلت

قصيدة

إلى شاهي وحسين .. والديّ

I

الشخص

وحتى أستظهر الممالك كلها، وأودع أحوال شعبي في خيام
شعوبٍ أخرى.

وحى أتمالك نفسي.. أتقدمُ، لا شيء ينحيني عن الملهاة، ولا
أقلام ستشطب ما لن أكتبَ

بلا رأسٍ أتقدمُ حاجباً ما دحي كلامي وحاجباً الملهاة بجسدي
أنفردُ بالسرد ولا أدع للهواء رئةً تتنفسه
(ليست الرئات مجالي) قال الهواءُ
ثم عصف حتى ظننته الريح

الهواء

أول الشخصوص؁ بداية الملهاة؁ المنسلل بين الرئاء كشهيق الهواء؁
المرجوم برئة ثقيلة تحبسه قليلاً ثم تفلته والهواء آسن يحتاج طواحين ترد
خيلاءه؁ دون ضجيج يخرج المهزلة عن المنصة؁ دون رجال يلوحون
بسيوفهم في الفراغ..
الهواء الهواء..

التراب

خذلتك الريح فتغربت بلهائنا ، خذلك الماء فأوحلتَ بالدم ، بعد
الحروب التي دارت فوق ذراتك ، والوجوه التي أخذت أشكالك ، تستحق
أيها الراقد أبداً بين القبور والأحياء ، تستحق أيها المتلصص على الجبال
أن نسميك.

ويا ترابُ ، من أنتَ بعد الريح ، ويا غبار من أنتَ بعد الماء
- من عرفك عرف آثامه واستراح -

من أنتَ بعد الريح

فتعبت بنا كما تشاء

من أنتَ بعد الماء

كأنه المتماسكُ فينا والمتناثر حولنا ، ذلك الموحلُّ في شتاءاتٍ لم
يباركها الرب ، الهثُّ قليلاً لنعرف طعمك ، الهثُّ قليلاً لنعرف حجم
القوالب التي يصنعها الأكراد منك
يا مبتغى ملوثاً بمياه الآبار والقش ، ماذا سوى بيوت هشةٍ و بشر
يشردون كلما رأوا خريطة.

غابرٌ الميدي ، متعالٍ على بكائيهِ ونواحيهِ ، غائصٌ في تراتيل
الشعوب وملوثٌ منذ الخليقة بالدم وطعم المجازر.

اقترب من الفضيحة التي أرتبها ، اقترب من شخصي المنكوبين
والمقتلين على مسرحي الصغير

(يقترب)

يا ترابُ لقد استدرجتك إليّ

اخرج قليلاً من كلامي

اخرج إذن.

لقد طمرتني.

الماء

حتى لو كان حدودياً، حتى لو تموج قليلاً وركد، حتى لو
أكل اليابسة شتاءً، فنحن الماء، بداية ارتطام الذرات ببعضها البعض
ومأوى الأسماك والنقيق الآدمي.

حين يأخذ الرمل عشيقاً آخر وتبتعد الشواطئ عنا نحزن، ثم
نبكي بضم مليء بالحصى.. ونفيض، زهونا الهواء، زهور قادتنا الأبدية،
حليفنا الحائم والمنسل بين الغلاصم معنا.

نحن الماء، وقريباً تنتسب إلينا الأطراف كلها وفينا نتحبُّ.
نحن الماء، وقريباً تقتل فينا الأطراف كلها وفينا تتشق عن
بعضها وتتفصلُ.

نحن الماء، ننفجر فتطفو الأطراف على الزبد.
يوم جلست الأطراف على المنصة وتبادلت الأدوار، فهتف الطرف
للطرف والشق للشق

كنا نصغي ولم تكن لزيدنا رائحة غرقى قرييين، لم نجف
بعد ولم نتوقف، ها نحن نقطع الحدود مداورين على السدود الكبيرة
ومقتلعين السدود الصغيرة، ها نحن بعد كل هذا التعب وبعضنا المهذور
على الضفاف.. نصبُّ في البحار.

النار

كما رقص اليزيديون حولك، وتحلقت الأعرابُ حول الشي
الحيواني وشرب الإغريق خمورهم، يقف الكوجر الذاهلون، كوجر
الهواء والجبال المائلة ، بردانين ينظرون.
يعلمون لك بردهم ولي، أنا الرافسُ شتاءات عمر، وناهرٌ لأمطار
كانون، أنا الذي أطحت ببردي وصحت احرقينا، فما جدوى المهزلة دون
حريق

احتضري على رقعتي الصغيرة
يا حوارنا المرتبك عند الاقتراب، بأيدينا المشقوقة نعلنك تاج
ملوكننا ، شخوص أهوائنا البائدة في التاريخ
أقف أمامك
لا أستعيد سارقيك
ولا حكايات الشعوب عنهم
كأنني بوغتُ بكِ
كأنني شممتُ ما يشبه الحريق

II

الثانويون

فاصل 1

حيثُ أنا على رقعتي، أقنعُ الشخوص بي، أستدرجُ الثانويين إلى مسرحي وأعلنُ فصولي المنكوبة، حيثُ أنا، حيثُ الأحزاب تنظر إلي نظرة العارف وحيثُ يترفع الملوك عني.

هياتُ الخشب الساقط من مهرجانات قديمة وأدخلتُ حكايات الله المذهلة، خشبي المتربع عليّ، الأكل رأسي وأطرافي، يرهلُّ جسدي ويعلنُ إيقاعه الصاخب.

فلتكن الستارة حارة فتلك نبوءتي وكما يليق بالأجلاف صفروا، احتشموا في المشاهد الحزينة وشفقوا للعرفاء.

راسخة أهوائي وشخوصي بئدودن، منسيون في الكواليس وثانويون يتوسلون دوراً

يا لأدوار أمنحها أنا

يا لشخوص أرتبهم أنا

يا للمشهد يبدأ بإشارة مني

يا للمهزلة

الموتى

غابرون، هزمننا التراب والحجرُ تحت رؤوسنا
غابرون، جاء أناسٌ وأخذوا أماكننا
وما نظروا تحتهم
وما انتبهوا لاستغاثات جثتنا العظيمة
متراكمون صدأً على الصدأ ، نتحين رسولنا إلى الأرض
وننسيه حماقاتنا بالهدايا والغنائم
غابرون.. ودود قبورنا لا يدلُّ علينا.

الملوك

هواءً لكم، تباعدوا قليلاً واسندوا سقوطني، هواءً لكم،
تصلون لسمائي، تفرقوا قليلاً ورتبوا كلامي، لا الممالك القديمة تعتقُ
الهواء الذي مرَّ، ولا الدول الحديثة تتمعُ الثورة التي تحتي.
هواءً لكم، كل قرنٍ أهىء لكم البلاد وأنتم بالدول البائدة
غارقون، كلام مدهش لأميركم الطاعن واللاعن أباه، أوراقه لا
تسودها عروش، كلام البرق للرعْد، يهیی ذروة لنتزاحم عليها، كلام
الغيم للأرض، مساومة على مطر قد يكون، منذ أن بادت الأرض صار
للصحارى طعم احتراسٍ ونكهة ذئابٍ لا تختبئ، منذ أن بادت صار لنا
طعم لغة سرية تشطبها المدارس ويدونها الهواء، لن تأخذ ورقه ولن تغيبه
ريح إلا وللمنصتين أثر فمه الأرعن، لن تميل رقبتة إلا ولكم أفق
التفاتته، حين تستيقظون وتحصون ممالككم، حين تستيقظ الريح
على غيم يستدرجها لشتاءاتكم، حين في صفيه الغامض تترنحون،
وقتها يا ملوك العراء سأهدهدكم وأحكي لكم عن أباطرة خذلتهم
تيجانهم وعروشهم ذات يوم قبل الميلاد.

الأحذية

- وها نحن جالسون وأنتم واقفون.
يا ولد اقترب من الملهاة قليلاً، سألبسك قناع الواقفين، تمدد
على الطريق ذاتها واحذر المارة.
- حذاء يلمع وأنت ترى وجهك فيه -
ماسحو الأحذية يلمعون الهواء، تخرج أنت علبه مطاطنة، ذريعة
مصبوغة، وأحذية تلمع وجهك
أجوبتك كلها صندوق صغير تنام فيه
فلتكن كراسيك أخفض واقترّب من منصتي، سأجلب لك
إغماءات زبائنك تحت الشمس، سأغريك بمسرحي
على مسرحي سأجعلك تمسح الرؤوس.

الجبال

قامة الليل، مكالون دوماً ومنسيون على الحدود، أقترب من
شخوصي المرتفعين وأنادي: جودي، جوووودي، فيلتفتُ تاركاً لثلوجه
حسرة العراق وحذر الأتراك، جودي ويلتفتُ مودعاً في حنان التفاتة
الكبير، قامات طويلة، صمت لا يوازيه كلام، وصدى لطلقات حرس
الحدود، انتشر الله في شخوصي المرتفعين، ضاع المهريون بين المقاتلين
والمقاتلون بين الجنود والجنود بين الأهالي، بينما الحدود تصف
لشخوصي مكانها.

قامات تلتصق بالماء وتحكي للهواء عن المهريين والسياسين
الأجلاف خلف شواربهم المنكّسة.

الجبال المرصوفة فوق بعضها، المزهوة والخجلة من بعضها،
وحدها تعرف السهول، وحدها ترى الجهات وأشلاء دجلة وفيضاناته
وتصمتُ، خذ الثلج فترى كيف تذوب، خذ البغال المنفجرة بالألغام
وأكياس التبغ فترى كيف تحكي، خذ علوها فترى كيف تمتد وتمتد
حتى تلمس الله، قامات حتى السماء، قامات ترى المكان وحدود
المكان وتصمت.

الحدود

حيث العسكر والألغام، ناسٌ يقضون بأصواتٍ أجنبية وأفواهٍ مفتوحة ينظرون، حيث دون بطاقات شخصية ينتظرون الله ليتعرف عليهم، دون بطاقات يتجولون في المدن ويتركون للشوارع رائحة جنسياتهم الغامضة.

.. دون بطاقات يأكلون، دونها يشربون ويتزوجون، ملطخون بالحدود حيث الله يجهل رعيته وحيث الرعية تبحث عن إله مكلل ببطاقة شخصية.

وحدك يا حدود تعرفين الذين ماتوا مجهولين من الحكومات، وحدك تعرفين أسماءهم المحفورة على عظامهم وأصواتهم المدوية في الأعماق، وحدك شاهدت الذين انفجروا مع دوابهم ولم يتركوا عظمة تدل عليهم، وحدك تعرفين اللحم الذي تتأثر في الفضاء والدم الذي سال من الخراف والماعز المرتبك عند حواف الجبال.

الذين دون أسماء تحزّبوا، دون أسماء شاخوا في أحزاب تتناوبهم، رجالٌ ملتفحون بأشباههم خلف الحدود.

نساء مزهوات بجلافة أولادهن.. هناك.. حيث كل شيء للحدود، حيث كل شيء يضيع على الحدود، حيث يترك الرب رعيته للذئاب وحرس الحدود، هناك، حيث دون بطاقات يموتون.

جهة

أقنعتنا باحتمال الهبوط، أقنعت سنيننا الهاربة من القحط
بنيوتك، سيد تشير لك البوصلة، شاهدة صغيرة تميل عليك.
زنديق مختبئ في لحي الشيوخ المصبوغة بالحناء وعربات يجرها
بشر بدل الحمير، كأنك منشق عن شعبٍ قديم وأغانٍ مرتبكة، سيدٌ
ولوقفتك رائحة العشائر الغابرة مهزومة جيادك وأغانيك، مهزوم وقتك
الراقد بين (ديرسم) و (آمد) وهو ينتظر اسمك المدهون بلكنة أبنائك،
سيد ولرجوعك لون المذابح، ها بسملة الهواء لم تبدأ باسمك، ها اللحي
لم تشبه كلامك، وأنت مغرورق بالثورات واحتمال عشورك على قبر
الشيخ سعيد.
سيدٌ ولوقفتك لكنة تروح وتجيء وتختلط في الجهات.

جهة

ما خذلتك الحدود بعدُ ولا الجبال، ما خذلتك، ريحُ الشمال،
ولا رائحة المجازر المتكئة عليك.
يتقدم مدججاً بذل العراق
يتقدم مدججاً بصمت العراق
ثم يهرقُ الريش على الصخور وتنقع الغربان فوق الدماء
جهة تستمد سوادها من العراق وعبورُ أخيرٍ للقتلى المؤجلين إلى
السماء، قريباً من الجهات المتدحرجة صوبنا، قريباً.. حيث نغتسل بدمِ
نعرفه.

جهة

متآكلون، وأبطال الملهاة ينتظرون، ثم تجيء الأفاعي مكاللة
أكتاف (أزدهاك)، تتقدم الحاشية مودعة فيه يقين الرؤوس المبتورة
وشكوك الجبليين المنتظرين.

تراجع الأمبراطورية عن شاهها، ويتراجع الجمهوريون عن
عامهم الوحيد، ليتقدم الربُّ في هيئة آياته.

اكتبي يا تماثيل تتخر بعضها بسوادنا وذهولنا، ترنحي قليلاً
إذا باغتناك، وأنت.. سيد الملهاة.. احزن قليلاً فما زال ورتتك حزينين.

يا إله الميدين حدِّق جيداً، يا إله الفرس اسمعني
يا إله المنصة تعذّب قليلاً، تلملم واقرض أظافرك فلم تبدأ
الملهاة بعد ولم يأت سيدها

(قاضي محمد).. أحفادك ناموا على الهزيمة، فلاكن ومسرحي
حذاء لك تلبسنا وتتمشى في الجمهورية القتيلة بعد عام، فلاكن
ومسرحي شخوصاً لك تحركنا حتى المشانق.. آآآآ

أي حبلٍ كان ذلك الحبلُ؟

أي شعب كان ذلك المسوّر حدودك؟

(قاضي محمد)، ماذا فعلت حين تقدم الجنود وتراجع البرزانيون

إلى جهتهم؟

اكسرُ الجمهورية إذن
اكسرُ المقصلة بجمهورية المجانين وأنصافهم
اكسرُ الهواء
برئةً مدهشة
اكسرُ العرق بالدم واشرب
فما جدوى موتك الآن، ما جدوى اللوريين وحيرة الله الأزلية
فيهم
اكسرُ الشعوب بذلك الشعب واشربهم حتى جمهوريتك.

فصل 2

أسمعُ البلادَ، أسمعُ المقابرَ وأرتمي عليّ
كانت التيجان تتبارى في العلو، كان الأسود منتصراً وحاملاً
غنائمه من الأوسمة والجنرالات والخونة، وأنا الأقل خيانة سأكفر عني
وأسردهم، أنا المندهب من خنجري، أكتشفُ شعوباً تكاد تذبل فيّ،
لم أكن سواي ولكني سقطتُ عند أول ممثل في لعبة الأدوار وشغب
الشخوص، فليكن الحزن سيداً في مسرحي، وليكن خاوياً من
الكلام، حيث مَنْ فوقني نادمون أبداً، يتساقطون جارفين معهم
الجماهير المحتشدة تحتي.

ولم يكن ربي تحتي لأنني..

ولم يكن ربي فوقني لأنني..

أنا الرب والملائكة والرسل وعبادي

أنا الشيطان وزمرتي وفرائسي

كيف سأعرفني

كيف أدهشُ الأرض بدورة معاكسة.

البلاد

حائر في البداية عند أول المحتشدين تحت المنصة، يبدأ
الخطباء..

يا للهواء الضائع في فضاءتك، يا للماء المسفوك على ضفافك،
كأن الندابات ينتحبن عليك، كأن الساحرات يتحدثن بشأنك.

البلاد المرتكزة على أصابع الأب تنهدُ قطعةً قطعةً

وها أنذا نديم البلاد، ومحدّر قراها من البرغش والبعوض، وها
أنا سليل البلاد أقف عارياً من البلاد.

الأحزاب

جاؤوا من خلفك ولم تعرف كيف دخلوا، كانت لهم رائحتك
ذاتها وشقوق يديك ذاتها، لكنك استغربتهم، وفي ظهيرة حادة
اكتشفوك، مالوا عليك وأخفوا ذلك.
وضعوا ليديك إشاراتهم ولفمك كلامهم وأطلقوك، ربتوا على
كتفيك، مالوا عليك فأخفوا ذلك وأخفوك. بملامح مثقلة بالموت..
دفنوك، وكما يليق بشهيد.. شيعوك.



الذين أهدروا أصابعهم في رسم الخريطة، أهدروا وجوههم في
التقاط الصور.

قل يا رب الأحزاب المتناوبة على خشبي
قبل أن تدور الأرض عكساً
قبل أن أتمرغ في الوحل وأعلنُ هزيمتي.

الشعب

لذلك تعالت الحدود عنّا، تراخت المدن والتواريخ رفضت
أسماءنا، من أعلن أن الأرض ستطمرنا وأن أحفادنا لن يليقوا بالحضارة
المقبلة، لقد اهتزت البلاد في الجهات الموروثة عن الأحلاف الغابرة.

- ذات يوم شتمنا البترول وآبار كركوك المفاجئة

- ذات يوم عرفنا أن الذي داعب شعباً فوق الموائد طعنه تحتها

كنا نعرف كيف نخرج من مجازر كبيرة أو صغيرة مبتسمين

وعلى وجوهنا صورة قريب أو صديق مُبْأد

كان القتل سيّداً، والمكان يغص بالعسكر وأسراب سنونو

أغراها صحو المكان باحتمال المجزرة

تساقط أناسٌ لم تكن لهم إطراقتنا عند كل نبأ حزين

كلما دنوت يا شعبٌ من مجزرة غافلتها ورميتها في حضرة عابرة،

كم مرّةً مُلتَ على نفسكَ وأنت تذكر كيف لهتت من (آمد) وسقطت

عن جيادك عند أول صرخة ارتطمت بأسوار حلب وما عادت، كم مرّةً

يا شعبٌ مُلتَ لتلتقطَ نفسكَ فما التقطت سوى الدم، كم مرّةً يا شعبٌ

أُفليتت عليك كلابٌ مجوِّعةٌ وكنّت بين أنيابها تتناسل وتولد.

الحرب

أوراق الريح المبعثرة في الدم السائل، أوراق الريح المكتوبة
بأسرار القتلى على حافة الحرب، كوني فسحة، واحدة للخراب وأخرى
للأنوثة المضطربة في مزاجك.

واحدة للأسلحة التي غادرت إلى الخصوم.
في الحرب يموت الجنود وتعيش الكراسي
في الحرب يموت البشر ويعيش الله
وها أنا أدبر صدفة للتعرف عليك

هدنة 1

الحرب حرب، ولكننا نريد هدنة
هدنة مدهوشة من جلافتنا
فلتكن الهدنة إذن
فتلكن ميقات توقف مريب يا حربُ

هدنة 2

هدنة أخرى يا حربُ
لأذرع الجنود المفقودة

فقد تجلى خصومي الآن
وحكمت بيننا بالموت
هدنة أخرى إذن
كي نموت فيها

في سورة الموت تتحاربُ الكلمات، في أسرار الأرض تستفحل
الكراهية وتدق الطبول وترتخي المزامير في الأفواه، ثم تشتعل، تغري
الجنود بالحياة فيهجمون . والموت حلم الحرب .
- لا تبتعدي يا حرب، سأجلب لكِ دماً كثيراً للزهو، دماً كثيراً
لترفعي رأسكِ فخورة أمام الله.

هدنة 3

والدم.. أقفوا صراخكم قليلاً فأنا أكتبُ
ما لن يحدث، هذه فسحتي، فسحة أهوائي
الباطلة في وقفة الجنود الأجلاف الذين ما ضجروا
من الموت بعد.
كي لا تكون لنهايتي قفلة الهدن، أكملُ كلامي، أغالي في
الوصف وأعبر بأسراري الألف فأنا الحربُ، ما عاد البشر مسالمين في،
وما عاد لدفتري حبر الدم المرتجل عن الأجساد الهزيلة، ها أنا متقدمة
وخلفي غبارٌ ينبئُ بهدنة قادمة.

الجماهير

وحتى أثق بمكاني الصغير، أستدعي الأئمة المزركشة بزينة
المهرج وأنفه المكور، أدنو من الجماهير تحت منصتي وأعلن نبوءتي.
- كأنهم يصدقون الأئمة ويكذبون الوجوه -
كما هم دائماً، صنوف الجالسين تحت موائد الخطباء، الأذان
المنحنية للسان الحائم كالسوط، والبلاد الغبية فوق منصة الحكماء،
سيدة الإصغاء، سيدة الأناشيد المبتذلة عن أعوام تشبهها، سيدة الرقص
الخليع واستمناً ممتع بعد كلام القوالين، الجماهير الغاضبة واللاعنة
أعواماً لم تلسعها جيداً بسياط الحكمة الربانية، الجماهير المتساقطة
من الجرائد والمحشدة في صفحات الإعلانات.

محمدي بنفشي المهرب

أقتربُ طفلاً من بيته، مهرّبُ الهواء من دولة لأخرى، مهرّب
أحزاننا وعويل أشباهنا خلف الحدود، مُدَاهِمًا بقبعات الشرطة المدورة،
مُدَاهِمًا منذ الولادة بطلقات العسكر.
نلمحه ليلاً خارجاً من بيته سراً كما دخله.
- يذكر الجميع كيف سرق سيارة الجيب الحكومية إلى
تركيا آخذاً معه لهاث الشرطة وعويل السائق المنكوب.

الفجر

رجالٌ من نسائهم، بجلابياتهم البيضاء الناصعة وعقالاتهم الأنيقة، يدخلون في الخيام ويقتلعون أوتاد بعضهم عند أول شجار، رجال من نسائهم، يعملون أزواجاً لنسوة يحمُنن كالتحللات في القرى، ويتباهون بحزوماتهم الرابطة مسدسات وأعماراً متكئة على أفواه فاغرة لنسوة فاغرات أمام أبوابنا.

عجريات يستعمرن مدننا الصغيرة بأسنان الذهب وبضائعهن المكتسية بشبق إلهي، بينما تقف سطول اللين يائسة من مساومات أمهاتها الثرثارات، زرقة الوجوه الداكنة المنشغلة عن المرايا بالتجارة وصناعة أسنان الذهب وبيع اللين، كم كان الفجر عارفين بأحوالنا، كم كانوا مزهوين بذهب يلمع في أفواهنا، فتلكن للفجر أسئلتي وعلكة الأشجار المطلقة في أفواه أمهاتنا وأخواتنا طيلة النهار.

المهاجرون

عينٌ على الخسارة وسقوط مدو ، كذلك كان المهاجرون
بعربات الخشب وأوتاد الخيام ، لهم كل عبور فما من فضةٍ ستعلو على
رنين عرباتهم ، وما من صخبٍ سيقتحم غبار وجوههم .
بوجوههم الجامدة يغمزون الله ويسألون البيوت عن طعم
سكوتهم ، المهاجرون من الثورات الفاشلة وزعماء الحركات والعشائر
والطوائف ، كانوا حزانى فلم تنظر إليهم الشمس ولم يرم الأطفال
أسنانهم إليها كي تبدلها بأسنان غزال ، عين على الخسارة وأخرى على
المهاجر وهو يرمي وطنه إلى الشمس .

الحجل

إذا احتكمتُ للبياض الأول
قلتُ كيف الهواء الباقي
لقد سقطت جحورنا في الجبال
أغمدتُ صوتي - إن الفم غمد مستحيل -
هيأتُ ما تبعثر من هواء و أضرمته بالأجنحة
ستبدأ المهزلة وعلى الحجل السلام
من يذكر قامات الصيادين وهي تستحلفني ألا أسرد
ها قد تبللت بالمطر الذي لم يهطل بعد
ها قد اكتشفت علوي

الحجل

وبعد ، أما آن ، كل الذين سبقوك إلى الفخ ساقوك إليه ، كنت
تعدّها حفرة حفرةً وتسقط وعند آخر الحفر تُردّمُ ، أنت الرفرة
القصيرة ، يريبك الدجاج والبيض الآمن ، لا ذبح في كواليسك ولا ألفة
تغريك بالسياج.

إنك الحياذ العالي ، لم تبين أعشاشك كي لا تنهدمَ ، فتحتَ
أجنحتك على عشائر ومفاوضات ، لو أصلك بغير هذه الريح ، لو أدور
حولك ولا تنتفض ، هل ينتقيني المكان حليفاً للريش وسارداً وحيداً
للفضاء؟!..

- اقرأُ ، باسم الهواء الأليف

- ما أنا بطائر

- اقرأُ باسم الريح التي لا تواتيك

- ما أنا بطائر

باللهات الساخن اقرأُ ، بالجنح القصير أو رفرف حتى الأزل ،
ارتفع.. إلى بداية الريح ، لقد أشعلت المساء باللون الشبيه وأشعلتنا ،
رفرف إلى الحنين العالي ، إلى الهواء الذي يشمك فأنت ربيب السفوح
الآن ، ليمتزج بريشك الهواء ، إن الظلال التي لا تشبهك لا تطير.

رفرف واحذر الأرض
إن الحجل على أشكالنا يقعُ

الحجل

حجل بداية القصيدة ينبئ بالأجحة
وعلى مشارف اللغة يمتزج بالريش
حجل تحت أعمارنا يهئى للجبال قفزتها وبين أشجار السفوح

حجل

- تقف أنت مكتظاً بصيادين أخفقوا فيك -
إنك البسمة الأخيرة لسورتنا التي لا تبدأ
الرئة الثقيلة خلف لهاثنا
تستبيح السفوح موطناً لفخاخ الصيادين
بحكمة الصياد المتترف تبدأ المهزلة
حجل إلى الفخ يستدرج حجل

الحجل

كان الهواء طازجاً لم تعكره الأجنحة، قلنا بريشة تبدأ
القصيدة وتنتهي بدم، من يصفق للأرض يَطِرُ عنها، ومن يلوذ بريشه
يَذق الهواء، لقد غدت القصيدة في الفضاء.

من علمنا لغة الزغب والدحرجة المهدورة للجبل الوحيد، صحننا
يا لهاثا المطوي على جنازات راکضة، هل ستردم المساء بوقتك
الخاسر، ها قد أغمضنا عليك وفتحنا جناحنا الباقي للفضاء، إنك
تشعل الصيادين الآن، ومنتظر خلف لهاث صدئ، لا رمح يسد جرحاً
عتيقاً ولا شعوب تنتظر حريقها المعتاد، فلنحتكم، بأي لون يريد البشر
وليتلون الهواء، لتكن ما أسرفنا فيه.. أمبراطوراً للسفوح وأميراً يتهادي
تحت ريشه.

أهدرت منقارك بالديدان واحترت بين أقدامك والأجنحة، مشية
مربية لطيور تهادن الأرض.

ملك تحت أوراقنا، رأوك غريباً فهربوا إلى مكانٍ مجهول.
اتخذك شخوصي كلاماً لهم وأنت راقد منذ البيوض الأولى
مكلاً بدهشة من رآك، تخرج القرى، والتين اليابس وحليب الفجر
منك، ثم يغمدونك في الفراغ - عار من الغمد أنت -

هذه مملكة التين، تحولات العنب إلى زبيب ، امبراطورية الحليب الباكر، منذ حجل تمطى على السفح وأعلن الريش بأجنحة قصيرة، خرجت العربات معلنة توبة الماعز ونقار الخشب بجياد من علف وصهيل، والحدادون استغرقوا بأكوارهم شعوباً زائلة، والملوك يبدأون بالصولجانات ولا ينتهون، والملوك ينامون على وسائد لا تتشق عن ريش، ثم يسمون الحكايا الشعبية سوداء ويقلونها حتى تحترق، قاماتنا تلتفتُ إليك وتتدبك، لم يكن جناحك طويلاً كي تمزق الهواء، لم يكن مدارجك الأمان لتضع بيضك دون أن تنقره، لم تكن لأجناسك ضراوة براريك فدهشت لدجاج البيوت وضحكت كثيراً من الديكة الشبقة، لم يكن لك أن تثبت على الجناح أو القدم ففر منك الفضاء والأرض لم تلامسك، فلتكن لهوائك سطوة الزغب ودخان البيوت.

II

الصعود والاختلاط

هذه لعبتك أيها السارد، وما المقتتلون إلا شخوص غامضة، هذه
أحاييلك أيها الرواي والمسرح لا يتسع لأكثر من العناصر وهي تحتضرُ.
آه أيها السارد، كم بكيت على لعبتك وهي تخبو مع
شخوصك، وكم عليّ أن أدعك تكمل القصيدة، أيها المنهزم الوحيد في
هذا الفضاء، أيها الغائب في متعة الأدوار أكملُ إذن.
فأنتَ من ترك الثانويين يصعدون الحلبة

1

طارئُ أنا على الخشبة وطارئةُ شهادتي
عارض سؤالي لهذا الاختلاط وعارضة أهوائي
غير متجنز في شيء كي أوقف المشهد ، كي تستمر الشخصوص
على غير هذا المشهد.

باردٌ كما ستار مسدل ، ما قلتُ إن دماً تسرَّب خلسة كي
يرعب الجماهير ، وما قلتُ إن خدشاً صغيراً تحت هذه الأضواء شوهد
طعنةً ، ما قلتُ ولكني وطنتُ الوشاية في جسدي ، وهمستُ للطواحين
عن هواءٍ لن يمرّ ، همستُ للعجر عن أكوام فضة ورنين ، وللأرمن عن
لكنة الغرباء في كلامهم ، قلتُ للهبوب المؤاتي للحكام والطوائف عن
ارتظام الغبار برئات صلدة.

كل هواء هوائي وأكاد أختنق

كل ماء مائي وأكاد .

ما الذي اختلط على مسرحي غير الفراغ ، من أيقظ لعبتي من
سكونها الأخير؟..

أيها المشتت ريشاً على مسرحي أعدتُ لمنصتي خشبها البائد ، أعدتُ
لخشبي دوده اللئيم . أيها المكسّر أجنحةً على خشبي دغ لوجهي بعض
مائه ولقبضتي بعض التراب.

غوايةً هذا الدم، وحبرٌ ما سال من قلوب الشعراء وهم يدونون ما
يحدث، أيتها الريح المصفرة في قلبي
من قتل العناصر على مسرحي وأضحك الجماهير؟!

2

كما نعتاد دائماً، نقف مذهولين من حكمتك، من ترتيبك
الأزلي للحكام والملوك، دون ماء تسيل المجزرة على سواتر من الزيب
والتين اليبس، دون هواء تتنفس الشخص الباقية رائحة الموت، دون نار
تشتعل الحرائق في أسواري الواطئة.

. لن تكتمل اللعبة إلا بحربٍ تخرب الصالة على الجماهير، لمن

أقول؟!..

دائماً لا أجد من أقنع بشخصي

لا أجد من يقنع شخصي بي

حجرٌ أنتَ أيها المتفرج

والمشهد ينقصه الدم

مرةً اطحنُ الهموم وعويل الأمهات وبنات آوى
 كي تكون لألاعيبي سمة الصمت والهدوء المريب
 مرةً قفُ أمام الحشد المتدفق فربما ينصرفون عن مشهدي إليك
 مرةً قلُ إن الذي سال من الكواليس ما كان أحمرُ
 وإن الذي مرَّ قرب أنوفنا مسرعاً لم يكن دماً
 مرةً أقنعُ الأفواه الفاعرة بسوائلي الغربية ، هذه نعمتك
 هذا دودك يا رب ينخر في الملهاة غير عابئ بنكبة أهوائني.

ما بقي من خشب لا يكفي للعبة كاملة
 ما بقي من شخوص لا يليق بمشهد كهذا
 وما بقي مني لا يستطيع سرد الرواية حتى خرابها
 امنحني القوة يا رب
 فصاحة البدو وشجاعة الكوجر
 ذكاء الثعالب ورهافة الشعراء
 امنحني كل شيطان وكل ملاك
 كل شيء يا رب كي أنهي المهزلة دون دم
 هذه الأشجار والزهور وأعشاب الربيع وعصافير الأرض كلها لا
 تكفي لنزهة واحدة من نزعات شخوصي
 ترَجِّلْ إذن يا رب من سمائك وليكن لكلامك طعم الأنس
 الغارق في وحشة الجن المنتظرين أمام بابي.
 ترجل إذن ولا تقف حائراً مما رتبته، فمك فاغر وعيناك
 جاحظتان؟!

لا تليق هذه الدهشة بعارف مثلك
 أي خراب اكتمل كي تقف مندهشاً هكذا
 أي سر خبيء عنك كي تقف فاغراً هكذا.. ياربُ
 هذه حشودك أيها الإله، هذه صحاريك وبواديك قابعة في
 الصلاة، هذا كلامك يسيل من شفاه غريبة، تقدم معي إذ يتقدم

المهاجرون محملين بأصناف التبغ ومدججين بثورات فاشلة ونهايات مريرة
لقادة مريرين.

قلتُ احترسُ ياربُّ، فما ثوراتي بحليبٍ يحمُرُّ عند نهايةِ ثدي
مترهلٍ، وما شخوصي بـ (بربار) يقطفه الأولاد ويزينون به موائد الكبار.
احترسُ، وليكن لوقفتك طعم مراقبٍ لخراب قاعتي عليّ
مرةً اطحنُ الهواء
مرةً امسحُ الخطوط عن جسدي.

في ردهتي الأخيرة توقف الحشد منتظراً إشاراتي
في ردهتي الأخيرة بكى الحشد منتظراً قامتي وهي تعلو في

حفرتي

في ردهتي الأخيرة أطرق الحشدُ وصعدت الندابات إلى عويل لا

يليق بخرابي

وتهاويتُ

يارب

هذه عيون لم ترفع مشهدها إلا لتراها أنت

هذه جباه لم ترتطم بالحجر إلا لتسمع دويها أنت

هذه قلوب لم تتبض إلا في المناسبات والجنازات ثم توقفت طيلة

العمر

هذه قلوب لم تتبض إلا في القبور

كأن ما سيهوي عليَّ سيهوي إلى الأبد

وما أنت برب حنون

وما أنت بمباركٍ لعويلي

قل لهم.. يا شخص الريح وإيماء اللاعبين لبعضهم أنني غير آبه

باختلاط الجهات في مسرحي، قل لهم أنني غير حزين لاقتتال

الشخص، وغير مستند في كلامي إلا لأهوائي.

أيتها الريح لا تعصفي بما يتكاثر من دود في جثتي، فما بقي لي

غير هذا ، وسيكون باطلاً من يحيل دون ذلك ، وما لأقسامي إلا أن تلم
صراخي الخائب..

هذا نرف أصابعي ، حنون يهبي الحبر اللازم للقصيد ، هذا ما
يعتريني ، فمن نسي أحاجيه في لعبتي ، هذا ما حدث فمن تبددت روحه
في شخصي؟..

للأدوار كلها ، عبثاً ألمم أطراف في

عبثاً أتذكر دماً سال مني

كيف أعلن ذروتي

وهل من متفرجين؟!

وقبل أن تصفق الجماهير يدخل الفجر مشمرين أثوابهم لأجل
 حرب صغيرة، وتحتهم أرتال التبغ وأصناف العطور والخناجر، ثم
 يُحشرون في أقصى زاوية من مسرحي البائد. ولا تفوتني عذوبة الكوجر
 ونسائهم المائلات بطولهن إلى شرق غابر، وللكوجر قلبي، وللكوجر
 آلهة من الصيد والهجرة والقرايين، وللكوجر "خمسة عشر ابن عم لي
 يُذبحون قرباناً في نهاية المشهد"

حزن لك إذن يا ابن ستارتي الغائبة في هذا الركام

حزن لك وأنت مغمض عن خراب يعتريني

حزن وأنت تراني أعبّر حتى نهاية الأسرار والكلام

ولا أسرار تحتي، ولا كتابة كي يدونها المؤرخون، لا متسع

للعبة أخرى فوق شطرنجي الغريب، فلا أحجاري أحركها، ولا أحجار

خصمي تحرك هزائمي.

حزين وواقف منذ البداية على باب المهزلة أهياً للجماهير دخولاً

حميماً.

قولوا للفجر الصاعدين اللعبة أن يرجعوا ، قولوا لأثوابهم
الناصعة أنني مخطوف قبل البداية بترتيل أسمائي ، ولكنهم ما قالوا وما
ردعوا الفجر الصاعدين ، وما همسوا لفصول تتشد شخصها قربي.
دماً.. فسكاكينهم غير كافية لإعادة أبطالي ، والوشوم
الخضراء على أنوفهم وذقونهم لن تعيد الاخضرار لما يبس في حكايتي.
وما قالوا شيئاً لأسنان الذهب البراقة وفساتين النساء المحملة
بالأولاد ، وما قالوا شيئاً للذين نصبوا خيامهم وعندما خذلتهم العناصر
اقتلعوا الأوتاد ولمعت أسنانهم وخناجرهم ،
من هز كل هذا السكون على رقعتي؟!..
من هزم الفجر ونحاهم على طرف المنصة
من لَمَّ الحروب والمجازر وراء الأشوريين والأرمن ورمها على
مسرحي؟! وما قالوا شيئاً للوافدين الجدد والجماهير المصفقة لشخص
لم تكن في حسابان أدواري.

رتبوا ما شئتم، ما لا أشاء، فأنتم أسياد اللعبة الآن، وما خرج
من يدي لن يطير من مسرحي، آه من فجأة لن يتوقعها شخصي،
من العناصر وهي ترقب الأحزاب الداخلة من الكواليس والملوك
المحتلين الخشب.

من الأرمن والآشوريين وهم يدونون حجم الدم السائل خالعين
الملهاة بخنجر من رقص وملامح ثقيلة.

لكن الصاعدين ليسوا بأبهة الذين قضوا على رقعتي..
اسألوني، فأنا الذي رأيت الباشا الأعمى محاصراً بجيوش
العثمانيين، وأنا الذي رأيتته معتصماً براوندوز، وأنا الذي حضرتُ قبره
ووضعتُ ما تبقى من سلالته فوق كرسيه القلق، لأنني لا أريد شيئاً يا
رب سوى أن تكتمل لعبتي كما أشاء، أن يتصافح شخصي قبل الستار
الأخير أو بعده، فماذا عليّ يا ربُّ وقد جاء اللوريون مندهشين من زوال
المشهد، يا حيرتي، يا سقطلة اللوريين وأشباههم في حيرتي، ويا جدواي
عند الباب هازئاً من غليان شخصي.

صعد اللوريون وعندما رأوا الجثث احتاروا من يوقفوا
تقاتلوا واستلوا السيوف، ثم تعبوا..

وعلى رقعة من الخشب وضعوا رؤوسهم وناموا
وها أنذا في أنحاء الولاية منتظراً مع الجموع عودة الباشا الأعمى
من استانبول ، وها قد مضت خمسة وثلاثون عاماً وما عدت أيها
الأعمى.. أيها الأعمى.

وذبح ابراهيم كبشاً عظيماً قرباناً لفرادة النبوة العائلية ، وذبح
الحداد أكباشاً عن السلالة المختبئة في الجبال ، كوني يا معادن
مطربة للحداد يلوح بك كما يشاء . المدجج بحرس نعلان ، المكلل
بتيجان أوسع من رؤوسه . مداهمُ الشوارع بالأسيد وعظام المساجين
المسحوقة .

اختلطت السماء فوقي ولم أعد سارداً مدهشاً وأميراً عابراً
للملهاة .

يا أصابع الملوك اخرجي منا فنحن موتى ولا مجد لأحد بإهانتنا
لا لذة في مداعبتنا نريد بلاداً كي نضيّعها من جديد .

أرقدُ على رقعتي الملوثة بحشود مهترئة من الكتابة وتدوينات
المؤرخين.

ماذا فعلتُ كي ترجموني بكل هذا المشهد؟!..
إنني باهت وخوف مسرحي أن يهرَّب محمد بنفشي إلى بلاد لا
تفهمه، باهتٌ وخوف مسرحي أن يُحسبَ على قوم سافرين ،
ذلك أنا، متبلور في شظاياي، فجَّ في قساوتي ولعان زجاجي
الكتيم

يا للمواشير العاكسة عيني
يا لعيني الراقدة منذ الأزل على بداية المشهد
لا ستار مسرحي، لا ستار لفضيحتي الحافية
مسرحي لا يمدُّ قدميه لمسحي الأحذية، يمشي حافياً وسط
الحشود الحافية، ويغمز الصغار بقلبه الخشبي المكوّر كبيضة سرقها
(مستو سعدونكه) دون حذر.

موجع ذلك العراء و (خانو) ذاهل مني، وخانو لم يعرفني، نسي
أصابعي وكرتنا الحجرية، لا حيلة للمهزلة دونك، لا حيلة لعمري دون
طفولتنا البعيدة.
كن ظلاً للرقعة، كن عشاً من أعشاش مسرحي أستريح فيك
كلما تعبتُ.

على رقعتي سيسيل العرق، عرقي أنا، سقطاتي وارتفاعات يدي
المسكينة أنا، غير المباهي بذريته البائدة أنا، الشيطاني، المرتب،
المخادع، والواقف منذ الخليقة على الناصية، أريد ديوكاً ودجاجات
للنزاع عليها، مناقير حادة وأصواتاً ترتفع في الهدن الطفيفة في حلبتي..
أنا.

كم رقدتُ في مكاني، كم انهلتُ على جثتي كتراب
وكم تمردتُ على قبري كميته طائش
لا ذراع لي كي ألويه، لا فم لي كي أخرسه
يا لمسرحي إذن، كم سيتعذب من أدوار تقتتل فيه ثم يسيل دم
حقيقي، دم لم أهينه من عصيرة البندورة أو الكرز القاني.
دم له تهيئة الآلهة من أكباش ذبحها نبي أو حداد
دم من شخوصي المتعبين من قاماتهم
دم حقيقي من شخوصي الضجرانين من وقوفي الطويل

كم أريدُ لو أُدْفَنُ هنا

فيمتلئُ فمي بالتراب، فلا أصرخ ولا أصيح، وتجيء الملائكة
وتنهر عظامي، كم أريد لو أُدْفِنُ هنا، فيسيل من شفتي الشكر لمن
منحني كل هذه المهازل وكل هذا الكلام
غير آبه للجماهير المنتظرة نهاية الملهاة وما يدور تحتي
فليخرج اللاعبون إذن
زائلون، شخوص الممالك الزائلة في احتضار آخر ریح على ما
كانت منصتي، كي تضيق صالتي عليّ مكسرة عظام الجماهير
وعظامي.

كم أريدُ لو أُدْفَنُ هنا.

كم أريد

من 1987 إلى 4.4.1989

قامشلي - حلب - دمشق

